ثقافة المقاومة والجهاد في الفكر الشيعي

صباح الخاقاني

شعبة البحوث والدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

سيدي يا صاحب العصر والزمان أقدّم بين يديك هذا الجهد المتواضع سائلاً المولى عز وجل، أن يعجّل في فرجك وإقامة دولة الحق على يديك، وأن يسدد خطى المجاهدين الممهّدين لظهورك.

﴿أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾[1].

---

(١) سورة يوسف: الآية ٨٨.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

تعدّ ثقافة الجهاد إحدى الظواهر البارزة في الشريعة الإسلامية، ولها مصـاديق كثيرة في تاريخ صـدر الإسـلام؛ منها ثقافة القتال، لأن الجهاد كونه السمه البارزة، فيفهم منه انحصار الجهاد في ميادين القتال والحرب، فالشريعة لم تقيّد الجهاد في ذلك المصداق، بل توسعت في مفهوم الجهاد وسـاحات القتال مفتوحة أمام كل من يجدّ ويجتهد القتال والحرب مع العدو، فكلما تحدى العدو الشـريعة الإسـلامية والدين هناك رجال في جميع الميادين يشمّرون عن سواعدهم للتصدي وردع العدو وما يحمل من تراسانة أفكار منحرفة وغيرها يريد بها هدم الدين..

فكل ما ينطوي على جدّ واجتهاد ومجابهة مع العدو سميّ جهاداً...

قد يعمل البعض عملاً يؤدي إلى مواجهة العدو، ويكون ذلك في ميدان السـياسـة فيكون جهاداً سـياسـياً، وقد يكون في الميدان الثقافي فيسـمّى جهاداً ثقافياً، وقد يكون في ميادين أخرى، وهكذا له عدة مصاديق ما دام في مواجهة العدو.

ولكن من شروط مقاومة العدو:

١: بذل الجهد والمثابرة.

٢: أن يكون في مواجهة العدو.

لذا نضع بين أيديكم هذا البحث الموسوم بثقافة الجهاد والمقاومة في الفكر الشيعي ونوضح فيه ما بينته الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة حول الجهاد وحقيقته وغايته في الشريعة، ويكون من أهم ركائزها عزة المسلمين، وكذلك نوضح الآداب التي وضحها النبي الأكرم (صلى الله عليه واله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) وما عملوا به في الحياة الجهادية. ثم نضع بين أيديكم الصفات الخاصة التي يتحلّى بها المجاهد، وغيرها من الأمور المهمة لتكامل الروح الجهادية بين صفوف المجاهدين.

سائلين العلي القدير أن يوفق الجميع لنصرة مذهب آل محمد، وأن نحظى بلطف الإمام صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه الشريف)، وأن يجعلنا وإياكم من جنوده الأوفياء ومن الباذلين جهداً في خدمة الشريعة. ونسأل الله أن يعجل فرجه ويجعلنا من المستشهدين بين يديه، إنه سميع الدعاء.

الأقل

صباح الخاقاني

٢٥/شوال/١٤٣٥هـ

كربلاء المقدسة في جوار سيد الشهداء (عليه السلام)

الباب الأول

- تعريف الجهاد.
- ضرورة الجهاد.
- فلسفة الجهاد.
- دلالات بعض آيات الجهاد.
- خصائص الجهاد.
- شروط قبول الجهاد.

الباب الثاني

- آداب الجهاد وأصوله.
- أخذ إذن الوالدين للجهاد.
- سقوط الجهاد عن طوائف.
- لا جهاد على المرأة.

الباب الثالث: بيانات في الشهادة والشهيد

- البيان الأول: في قيمة الشهادة في سبيل الله.
- البيان الثاني: الشهيد قدوة لنا.
- البيان الثالث: أثر دم الشهيد في حركة الأمة.
- البيان الرابع: في دم الشهيد الوعي والعطاء.
- البيان الخامس: ما هي الحكمة من عدم تغسيل الشهيد وتكفينه؟

الباب الرابع

- **من صفات المجاهدين.**
- **شروط النصر الإلهي.**
- **أثر التفرقة في هدم المعنويات.**

الباب الخامس

- **وصايا للمجاهدين المرابطين.**

أولاً: رصّ الصفوف.

ثانياً: العمل لله.

ثالثاً: الجهاد بمختلف الوسائل.

رابعاً: رفع معنويات المجاهدين المرابطين.

خامساً: السيطرة على الذات بعد الانتصار.

سادساً: تكريم المجاهدين بعد الحرب.

- **الخاتمة.**

الباب الأول

تعريف الجهاد.

ضرورة الجهاد.

أقسام الجهاد.

فلسفة الجهاد.

تعريف الجهاد

الجهاد في اللغة: على وزن فعال وهو في اللغة أما من الجَهد _ بالفتح _ وهو من التعب والمشـــقة أو – بالضـــم –: وهو الوســـع والطاقة[١]، ويعني بذل الجُهد والسعي الحثيث.

وقال في لسان العرب: جاهد العدو مجاهدة وجهاداً؛ أي قاتله وجاهد في سبيل الله.

والجهاد: المبالغة وا ستفراغ الو سع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء.[٢]

و شرعاً: بذل الو سع بالنفس والمال في إعلاء كلمة الإ سلام وإقامة شعائر الإيمان[٣].

---

(١) مفردات ألفاظ القران: ٩٩.

(٢) لسان العرب: ج٣، ص١٣٥.

(٣) مسالك الافهام: ج٣، ص٣.

وقال في مجمع البحرين: الجهاد بكسر الميم تعني شرعاً بذل المال والنفس لإعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان.

وقال الاجتهاد هو المبالغة في الجهد ونقل في الإصلاح، إلى استفراغ الوسع فيما فيه مشقة لتحصيل ظن شرعي.[١]

وأشارت بعض الآيات إلى ما يقتضي القوة العسكرية، وهو قول الله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٢].

وأشارت آية أخرى إلى عدم الاكتراث والخوف من العدو في قوله تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾[٣].

وسيتضح في آيات الجهاد: أن الجهاد هو واجب في كل زمان وعلى كل مؤمن (على النحو الوجوب الكفائي)، وهذا الحكم جاري في كل الزمان ولا يختص بزمان دون زمان مثل سائر الأحكام، وكما إن الصلاة

---

(١) مجمع البحرين: ج ٣، ص٣١.

(٢) سورة الانفال: الآية ٦٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٥.

والزكاة والصـــوم أمور واجبة على جميع المســـلمين في كل زمان ولا تختص بزمان معين.

ويعتبر الجهاد من أعظم أركان الإســـلام وأفضـــل الأعمال بعد الفرائض. ولهذا أشـــار صـــاحب كتاب كشـــف الغطاء، فقال: أفضـــل الأعمال بعد العقائد الإسلامية والإيمانية حتى الصلاة اليومية بحسب بعض الجهات الخارجية [١].

وقال صاحب الجواهر الشيخ محمد حسن النجفي (رض) في كتاب الجهاد: وهو ذروة وسنام الإسلام ورابع أركان الإيمان وباب من أبواب الجنة وأفضل الأشياء بعد الفرائض)[٢].

ولأهمية الجهاد في الشريعة الإسلامية يقول شيخ الطائفة الشيخ الطوسي في المبسوط في أول كتاب الجهاد: وعلى الإمام أن يغزوا بنفسه أو بسراياه في كل سنة دفعة حتى لا يتعطل الجهاد)[٣]، لأن ترك الجهاد يوجب زوال وهزيمة الإسلام.

---

(١) كشف الغطاء: ج٤، ص٢٩٤ بالتصرف.

(٢) جواهر الكلام: ج٢١، ص٣.

(٣) المبسوط: ج٢، ص٢.

إذن فالجهاد هو ذلك الجهد والسعي المبذولان دائماً وبكافة الوسائل وفي جميع المجالات بصورة منسقة ومتناغمة ومتكاملة.

وإن اصطلاح (في سبيل الله) يحدد هدف الجهاد وغايته النهائية، وهو شرط لازم دائماً لتعيين هدف الجهاد الأسمى، لتكون نية المجاهدين والعاملين خالصة لله أبداً.

ومن هنا يتضح: أن السائرين في هذا الطريق هم الموحدين الذين يريدون الخير والعدالة والحرية للناس، وهم أولئك الذين يرتبطون بالهدف المقدس وبسعادة أنفسهم والبشرية جمعاء، وهم مصممون على أن يغدوا صلاح الناس وفلاحهم بأنفسهم.

إن التركيز على ضرورة ملازمة الهدف المقدس للجهاد يخلصه، ويميزه عن الحروب المتعارف عليها والتي تلقي الرهب والرعب بكل أصنافه، لأن الهدف منها هو القتل والإغارة واحتلال البلدان ونهب الخيرات والأموال، وهذا من عمل الجبابرة والمستبدين وأمثالهم من الأنانيين والمعتدين والمتعصبين الظالمين.

إن المسلمين بجهادهم الحق ليس هدفهم احتلال بلاد الغير وضم الأراضي والقضاء على حكم ظالم يخلفه من هو أشد ظلماً ويُفرض على رقاب الناس فرضاً. فالعدو الذي يعتدي على المسلمين وعلى بلادهم لفرض سيطرته عليها فمن حق المسلمين رد الاعتداء، لأن هؤلاء لا يؤمنون بشريعة السماء إنما يؤمنون بشريعة الغاب والله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾[1]، فأين الإرهاب من هذه الأهداف النبيلة والقيم العالية.

إن الإسلام يزن الحرب بميزان الصلاح للدنيا والآخرة بالنسبة إلى الذين يحاربهم وبالنسبة إلى الآخرين، فإذا حارب الإسلام اليهود إنما يريد إصلاح حالهم دنياً وآخرة ويريد إصلاح الآخرين الذين يعتدي عليهم اليهود ما لو بقي اليهود على حالهم من دون محارب، ولذا يكون أول الفروق بين الحروب الإسلامية والحروب غير الإسلامية أن طابع الأولى الصلاح والإصلاح بخلاف طابع الثاني فهو الفساد والإفساد.

وقد أوجزت الآية الكريمة أهداف الحروب الإسلامية بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾[2]. فالغرض إعلاء كلمة الله التي في أعلاها صلاح حال الناس دنياً وآخرة، وإنقاذ المستضعفين من براثن المستغلين والجائرين.

أما الخراب الذي يلازم الحرب في البلد أو المال أو النفوس والأعراض. فالإسلام ينطلق فيه من منطلقين فقط هما رد الاعتداء

---

(١) سورة النساء: ٧٦.

(٢) سورة النساء: ٧٥.

بقاعدة الآية: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[1]. والوصول إلى الأصلح.

فالإسلام يبيح قتل الكافر وسبي عرضه ونهب ماله وخراب بلده في مقابل قتاله للمسلم وسبي عرضه ونهب ماله وخراب بلده، كما إن الإسلام يبيح كل ذلك بالنسبة إلى الكافر قبال الوصول إلى الأصلح مثلاً لو افترضنا هناك سلطة طاغية تسلطت على الناس، فإن الإسلام يحاربها بما يستلزم الحرب من خراب ودمار، لأجل أن الخراب الناشئ من إزاحة تلك السلطة أقل من الخراب الناشئ من بقاء تلك السلطة.

وبهذا يتبين أن الإسلام لا يحارب لأجل السلطة والغلبة، ولا لأجل الاستعمار والاستثمار، وإذا حارب فإنه يكتفي بالقدر الأقل الممكن من الخراب الملازم للحرب الذي هو في الحقيقة لأجل البقاء والإصلاح. ولولا بعض الحروب التي كانت للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع قريش وغيرهم بين دفاع وهجوم لما عمَّ الإسلام البلاد وانتشر فيها، ولما عمَّت تعاليمه الثمينة وسَرَتْ معارفه القيمة. كما أننا نشير هنا إلى أن آيات الجهاد في القرآن لم تتنزل دفعة واحدة بل نزلت بالتدريج، ولم تكن تشبه الأوامر والقوانين العسكرية بل تطرقت إلى أسبابه المنطقية

---

(١) سورة البقرة: ١٩٤.

وأصوله وقواه وقيادته وأساليبه وآدابه حين كان المقصود هو تربية الإنسان المسلم المجاهد في ذلك الزمان ومخاطبة كل الأجيال المتعاقبة ليكون التنفيذ مقروناً بالقناعة الذاتية والإيمان الراسخ الذي لا يتزعزع. والقوانين التي وضعتها شريعة السماء إنما هي لأجل سعادة البشر، لأنها قوانين إلهية والله تعالى هو أعلم بمصلحة البشر، فلم يوضع الجهاد إلا لأهداف سامية ترفع من كيان الإنسان والإنسانية وتحقق للبشرية السعادة في الدارين.

ضرورة الجهاد

من الأمور المهمة في حياة الإنسان هي الاستقلال؛ وهو شعور الإنسان بحريته وكيانه ووجوده الحر وإشغاله حيزاً معنوياً في هذا الكون وممارسته لنمط من أنماط الحياة، التي تنسجم مع رؤيته الخاصة للحياة وما ينطبق على الإنسان كفرد ينطبق على البشرية كمجموعات. فالاستقلال هو أعز ما يملكه الإنسان في حياته فإذا فقده فقد كل شيء، حريته، إرادته، شخصيته، تفكيره، قيمه، وأخيراً وجوده في الحياة، لأن الإنسان ينشط في حياته ويتحرك ويسعى انطلاقاً مما يحمل من رؤى وقيم ومفاهيم، وبدون هذه العوامل يصبح وجود هذا الإنسان أو المجتمع وفناؤهما سواء.

وهناك قوى بشرية ورؤى طبيعية تملأ عالمنا اليوم وتتحدى قدرة الإنسان في المحافظة على استقلاله، فشهوات الإنسان واندفاعه نحو اللذات وحرصه المفرط عليها يذله ويحرف نفسيته، كذلك انصياع الإنسان وطاعته العشوائية وتسليم قيادة أموره لشرار الناس يفقده الرؤية الواضحة والتفكير الصائب والانطلاق السليم لتحقيق الأهداف التي يصبو إليها، وذلك نتيجة لتلك العوامل البشرية والطبيعية التي تساهم وبشكل فعّال في هدم شخصية الإنسان وتفقده استقلاله الذاتي.

كما أن هناك قوى بشرية تصارع الإنسان وتؤثر عليه لنزع استقلاله، هذه القوى البشرية قد تتمثل في الملوك والرؤساء الطغاة أو الكهنة وأصحاب المال المشعوذين كل هؤلاء يحاولون انتزاع حرية الإنسان

والعبث بمصيره ومنافسته على نفسه وذلك بشتى الضغوط وأنواع الحصارات والممارسات الإرهابية والعدوانية التي يفرضوها على الفرد والمجتمع، وهذه النزعة في الواقع ليست وليدة اليوم، بل هي قديمة بقدم البشرية. وأما في تاريخنا الحديث فلو ألقينا نظرة إلى الأنظمة الحاكمة في المنطقة وإلى الدول العظمى التي تحاول فرض سيطرتها بشتى الوسائل وبمختلف الحجج الواهية ومن خلال مواقفهم جميعاً، فهم يقودون هجمة شرسة ضد الوعي الإسلامي المتنامي بحجة الإرهاب والقضاء على الإرهابيين وفي نظرهم أن المؤمنين بالله ورسوله والسائرين على نهج الإسلام الأصيل هؤلاء إرهابيين يجب القضاء عليهم، ونلاحظ أن الوجود الغربي وهيمنته على المنطقة وابتزازه لثروات المسلمين بمختلف الحجج وقد سلطوا حكاماً مأجورين على بلدانهم وجعلوا بلداناً تحت هيمنة أخرى وسلطوا حاكماً على آخر وبلداً على آخر بحجة الحدود الجغرافية وغيرها هدفهم بذلك استنزاف طاقات الأمة الإسلامية وإضعافها. بل هم الذين زرعوا الإهاب وسمّوه إسلاماً، أمثال داعش وغيره، ولكن نور الإسلام يبقى يسطع على رؤوس المستكبرين.

إن الظلم الذي يمارسه المستكبرون والطغاة هو أحد الأسباب التي تجعل من الجهاد ضرورة ومسؤولية على عواتق الجميع. يقول الله عز

وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾[1].

ويقول عز وجل: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

فعندما يُبعد الناس من بلادهم وينفوا عن مسقط رؤوسهم إلى أماكن أخرى حيث الغربة والمشاكل والذل والآلام، عندها يكون الجهاد ضرورة إنسانية لا خلاف فيها مع فرض تكافؤ الفرص.

إن حماية الدين الإسلامي وحفظه من أن تعطل أحكامه يدعونا إلى الجهاد وبذل الغالي والنفيس من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل ودفع الظلم والظالمين وحماية بلاد المسلمين وثرواتهم، وسواء حفظ حدوده الشرعية أو الحدود الجغرافية فالحفاظ على منهج الإسلام أو حدود الأمة الإسلامية وحماية استقلالها وسيادتها.

ولابد من الجهاد لتصحيح مسيرة البشر كلما زاغ أو انحرف، وكلما عبد الناس بعضهم بعضاً، وأطاعوا بعضهم بعضاً، وتركوا طاعة الله

---

(١) سورة الحج: ٣٩-٤٠.

(٢) سورة الحج: ٤٠.

تعالى وعبادته. فإن للجهاد ضرورة؛ لأنه يصحح تفكيرهم ويقوّم مسيرهم ليتحرروا من طاعة وعبادة بشر مثلهم كالقادة والحكام والطغاة إلى عبادة الله الملك القهار.

إن الدين الإسلامي نعمة إلهية عظيمة أغدقها الله تعالى علينا لنستفيد منها وننتفع بها ومنّ الله علينا بنبيينا نبي الرحمة وأهل بيته الكرام عليهم الصلاة والسلام أجمعين، الذين رسموا لنا المنهج الصحيح والمثل العليا في الحياة الشريفة المقدسة، فإذا كان الدفاع عن الذهب والمجوهرات والمال ضد السارقين يعدّ دفاعاً مشروعاً، فإن الدفاع عن الدين ومقدسات الأمة الإسلامية أعظم مشروعية وأنبل فائدة، فهو يحفظ للأمة كرامتها وعزتها وشرفها. فالجهاد ضرورة حضارية لا بد منها ضمن قواعدها وأصولها ومنهجيتها، وهذا ليس إرهاباً وعدواناً إنما من أجل حفظ الأمة الإسلامية أمام هجوم ومطامع الأعداء في أي زمان ومكان لتعيش الأمة الإسلامية بسعادة، ومن أجل أن يعم العدل والإنصاف ويشمل البشرية جمعاء ويكون الدين كله لله.

أقسام الجهاد

ينقسم الجهاد إلى ثلاثة أقسام حسب الأهداف المرجوة منه؛ وهي:

١- الجهاد الدفاعي.

٢- الجهاد التحريري.

٣- الجهاد الداخلي.

والهدف من الأنواع الثلاثة هو رفع الظلم، وهو في الحقيقة كفاح ضد الظلم، النوعان الأولان خارجيان والنوع الثالث هو داخلي ولكن من ناحية الهدف النهائي لا يوجد فرق بينهما أبداً. إن هدف الجهاد الدفاعي هو صدّ المعتدي الأجنبي وبمجرد أن يتحقق هذا الهدف ينتهي الجهاد الدفاعي.

عندما أمر الله سبحانه وتعالى بالجهاد الدفاعي حدد الهدف منه بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1]، وقد أمر الله تعالى بقبول الصلح بمجرد أن يقترح العدو ذلك ويظهر الرغبة في عدم القتال بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: ١٩٠.

(٢) سورة الأنفال: ٦١.

﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١]، ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٢]، ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾[٣]، ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٤].

وفي آية أخرى يوضح الله تبارك وتعالى صفات العدو المراد صده والهدف من جهاده بقوله عز من قائل: ﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٥].

هذه الآيات الكريمات تدل بوضوح على أن الله سبحانه وتعالى يجيز بل يوجب الجهاد الذي له صفة الدفاع وفي سبيل إزالة الظلم ووضع الحق في نصابه وضد المعتدين الخارجيين ناكثي العهد والظالمين والخونة،

---

(١) سورة البقرة: ١٩٢.

(٢) سورة البقرة: ١٩٣.

(٣) سورة النساء: ٩٠.

(٤) سورة الممتحنة: ٨.

(٥) سورة التوبة: ١٣.

وإن المبادرين إلى هذا النوع من الجهاد هم أولئك الذين وقع عليهم الظلم. ومن أجل رفع الظلم وحماية الأرواح وصيانة الحقوق والحريات والأموال يجب على المظلومين أن يبادروا إلى الاستعداد للذهاب إلى ساحات الجهاد، وهذه هي إحدى غايات الجهاد. وقد أجاز الله لهم مكافحة الظالمين ووعدهم بالنصر وذلك بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾[1].

أما الهدف من الجهاد التحريري فهو نجدة المظلومين الذين يرزحون تحت نير الحكومات الظالمة والمستبدة والذين يستعينون بالمسلمين على حكامهم الطغاة للخلاص من شرورهم. إن واجب المسلمين لا يقتصر على الدفاع عن أرواحهم وأموالهم ووطنهم وكرامتهم واستقلالهم ودينهم بل هم مكلفون أيضاً بالدفاع عن المظلومين في بقية البلدان الذين يستنجدون بهم، لعدم قدرتهم لوحدهم على رفع الظلم وصد المعتدين.

إن هذا النوع من الجهاد من وجهة نظر المظلومين المستنجدين هو جهاد دفاعي، ومن وجهة نظر المسلمين الذي هبّوا لنجدتهم ومساندتهم

---

(١) سورة الحج: ٣٩-٤٠.

له طابع التحرير. ولا فرق إن كان المظلومون المستنجدون من الأقلية المسلمة التي تسكن في البلدان الأخرى أو الأكثرية غير المسلمة، فإن الجهادين التحريري والدفاع يجبان في تلك الحالة. وقد أمر الله تعالى بهذا النوع من الجهاد بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾[1].

إن المبادرة للجهاد الدفاعي أو الجهاد التحريري تتوقف على الطرف الظالم المراد جهاده. فحينما يأخذ الطرف الظالم موقع المهاجم والمعادي ويباشر بسلب الحريات والحقوق بممارسة الاضطهاد والتعسف يجب حينذاك الجهاد الدفاعي والتحريري.

أما النوع الثالث من الجهاد هو الجهاد الداخلي: وهو كفاح ضد الظلم أيضاً ولهذا السبب سُمّي (جهاد أهل البغي). فأهل البغي هم الذين يبغون تحقيق رغباتهم ومطالبهم أو الحفاظ عليها بصورة عدوانية وبطرق غير مشروعة، وهؤلاء هم فئة من المسلمين. سواء كانوا من الحكام أو من المحكومين عندما يتعذر عليهم الوصول إلى ما يبغون

---

(١) سورة النساء: ٧٥.

بالطرق المشروعة يلجأون إلى تنظيم عدوان مسلح على المسلمين، وبذلك ينحرفون عن تعاليم القرآن وسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعندما يرفضون الاستجابة إلى دعاة الخير من إخوانهم والرجوع إلى جادة الصواب ويستمرون في عنادهم وظلمهم وانحرافهم يكونون بذلك قد خرجوا عن إسلامهم، فحينذاك يجب على المسلمين جهادهم ومكافحتهم من أجل إعادة الأمور إلى نصابها، وإعطاء كل ذي حق حقه وإعلاء كلمة الله وصد الخارجين عن الدين، وإن المسلمين بجهادهم الداخلي هذا يحافظون على النظام الإسلامي العادل ويصونون المجتمع من التفسخ والانحرافات والتشرذم وهو خير وسيلة لمقاضاة المرتدين المنحرفين.

إن غايات وأهداف الجهاد الإسلامي ترتفع عن غايات الأقوياء والطواغيت، لأن الأهداف الإسلامية أهداف واضحة وهي أهداف إنسانية ودفاعية وتأتي لنصرة المحرومين والمظلومين، وأهداف الجهاد كما عرضناها محددة ضمن إطار الشريعة الإلهية، وتستند إلى قواعد وأصول دقيقة وضمن الموازين الإنسانية، أما غايات وأهداف الطواغيت فهي أهداف استعمارية وأهداف مبنية على مصالحهم ونهب خيرات البلدان الغنية ومن هنا نلاحظ أن أهداف وغايات القوى العظمى والجبابرة هي لأجل مصالحهم ونهب ثروات الآخرين والسيطرة على البلاد الإسلامية، وهي أهداف لا تتفق لا مع الإنسانية ولا مع الأخلاق في

الوقت الذي يقاتل فيه المسلمون دفاعاً عن بلدهم وأموالهم، وكل ذلك إعلاءً لكلمة الله وفي سبيل الله.

فلسفة الجهاد

إن الدين الإسلامي بوصفه منهجاً شاملاً للحياة ومنظماً لها، فالقوانين التي وضعت لإدارة المجتمع هي قوانين إلهية مستوحاة من شريعة السماء جاءت لإنقاذ الأمة والبشرية جمعاء ولتحقيق العدل والمساواة بين أفراد البشر ومنع الفساد والطغيان، ومن تلك القوانين التي وضعت للبشر قانون الجهاد، والجهاد إنما سنته الشريعة الإسلامية لغايات تتركز في ثلاث محاور أساسية معتمدة في ذلك على منطق القرآن الكريم وهي:

١ـ لإعلاء كلمة الله:

وتتم من خلال إقامة حكم الله في الأرض، وفي ذلك يقول الإمام علي (عليه السلام): (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء في فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلوم من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك).

والطريق الأساس لإعلاء كلمة الله والوصول لهذا الهدف يمرّ بأداء الواجبات التي أقرها الله تعالى للناس، وإن أداء هذه الواجبات الإلهية لا يجلب السعادة والفلاح ومرضاة الله للمسلمين فحسب، بل ويسبب ضمناً هداية البشر وسعادتهم. وهذا ما نلاحظه في جميع الواجبات

الدينية. وهذه الحقيقة تؤكد أيضاً بأن الواجبات الإسلامية التي أقرّها الله عن طريق الوحي ليست لمنفعته هو فقط بل هي لخير وصلاح البشرية جمعاء، وهذا عامل مجيد وخالد يدل على أحقية الدين الإسلامي ورسالة النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم).

إن أعظم سعادة في الإسلام هي إقامة نظام سليم وعقائدي مبني على العدل والإيمان بالله حيث قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1]، فأقامت نظام يدعوا إلى الله من خلال العمل بما أمر الله به من واجبات وإحياء لحدود الله تعالى يضمن السعادة الحقيقية للبشر في الدنيا والآخرة.

فالمطلوب من المسلمين هو الالتزام بالهدف العقائدي والأخلاقي للإسلام حتى ينتصروا على المذاهب والاتجاهات اللاإنسانية السائدة في المجتمعات الآن، وأن يزيلوا كل الموانع والمعوقات التي يضعها الكافرون والمشركون في طريق سعادة الناس وفلاحهم.

إن الإيمان بالتصور الكوني الإسلامي يعني بأحقية وضرورة إقامة النظام الإلهي في الأرض إعلاءً لكلمة الله، ومن المستحيلات العقلية أن يؤمن شخص بالله وفي نفس الوقت لا يرتضي النظام السياسي

---

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

والاقتصادي والاجتماعي الذي اقترحه الله تعالى وجعله ملازماً للتوحيد والإيمان وأن يعصي الله في أداء واجب الجهاد من أجل إقامة ذلك النظام. لهذا فبمجرد إيمان أفراد المجتمع بالتصور الكوني الإسلامي يبتدئ الصراع والنضال من أجل هدم الأنظمة الفاسدة والظالمة وإقامة النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي على أنقاضه.

وقد أشرنا إلى أن إقامة النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي يستلزم الإيمان بالتصور الكوني، وهذا التصور الكوني هو عين التوحيد، والتوحيد هو الاعتقاد بوحدانية الخالق، الذي وحده الحاكم والمالك المطلق والفعال لما يشاء، وهذا الاعتقاد يعني بالتأكيد نفي الخالقية والحاكمية والمالكية المطلقة التي تفعل ما تشاء عن كل شخص وكل شيء وكل قوة أخرى غير الله تعالى؛ لأن في عكس ذلك يتم نقض التوحيد. وعلى أساس التوحيد يجب أن يعبد الحاكم المطلق الذي هو الخالق والمالك وحده، ولا يجوز إشراك أي شخص آخر بعبوديته.

والعبادة إنما اختصت بالخالق الواحد؛ لأن الحاكمية المطلقة انحصرت فيه فهو الفعال لما يشاء وحده، يقول القرآن: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[1].

---

(١) سورة يوسف: الآية ٤٠.

إن الموحدين يعطون اختصاص الحكم وتعيين العلاقات الاجتماعية إلى الخالق الأحد، فهم يرفضون وينكرون الحاكمية المطلقة للأفراد أو الهيئات الحاكمة ولا يعبدون أي شخص ولا يسلّمون رقابهم بيد أي قوة غير مسؤولة ومقيدة بشروط الشريعة الإسلامية، فالتوحيد بالوصف الذي ذكرناه لم يعد مسألة فلسفية أو نظرية علمية مجردة أو مقولة صوفية خيالية، حتى يمكن إنكار دوره الفعال في الحياة الاجتماعية العملية ودوافعه المباشرة للنشاط السياسي في إعادة تنظيم المجتمعات، فمستقر العقائد الإسلامية في قلب الحياة الاجتماعية، وإن الإيمان بها جوهرة السياسة الهادفة إلى التغيير العميق في الأوضاع الاجتماعية كافة.

إن التصور الكوني الإسلامي وفكرة التوحيد الثورية يربيان في المجتمع قوة المعارضة للأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المنحرفة، ولهذا السبب نرى المسلمين الذين تمسكوا بمنهج السماء وفكر أهل البيت (عليهم السلام) لا يمكن أن يصالحوا أو يهادنوا الأنظمة والحكومات والعلاقات والقوانين المخالفة للإسلام. بل يستمرون في محاربتهم حتى يتم إقرار النظام الإسلامي إعلاءً لكلمة الله تعالى.

٢ـ إنقاذ المستضعفين:

إن الموقف الإسلامي الحق هو في خط التمرد والتحرك من أجل تغيير واقع الظلم والطغيان، فالضعيف ليس مشكلة تستطيل على الحل وليس عذراً يبرر للإنسان التقاعس والضعف والانهزام إلا على أساس سياسة المراحل، وهذا هو ما عبرت عنه الآيات الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[1].

إن هذه الآيات تتحدث عن موقف هؤلاء المستضعفين أمام الله يوم القيامة في لحظات الحساب على مواقفهم في الدنيا استسلامهم بخضوعهم للظالمين وتنفيذهم لكل ما يريدون منهم ويخططون لهم،

---

(١) سورة النساء: ٩٧-١٠٠.

فكيف عالجت الآيات هذه المواقف. إنهم ظلموا أنفسهم بالسير مع مخططات الظالمين معتقدين أو ظانين إن ضعفهم وعدم قدرتهم على الحركة يبرر لهم الرضا الخانع بالواقع، ولكن الآية تتحدث عن فكرة حاسمة تواجههم في موقف المسؤولية، إن هناك مجالاً للهجرة إذا لم يكن التحرك في الداخل.

فالأرض واسعة لا تضيق على أحد، فمن يهاجر فيها من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا في إقامة الحق والعدل على الأرض بعيداً عن الضغوط التي تدفعه إلى السير في خط الانحراف يجد المجال واسعاً في التحرك. فإذا مات وهو في هذا السبيل فإن أجره على الله؛ لأنه مات وهو مهاجر إلى الله ورسوله.

وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي تتحدث عن المواقف الضعيفة التي يشعر بها الضعفاء بالانسحاق إزاء إرادة المتكبرين والطغاة بفعل شعورهم بالضعف تجاه قوة أولئك.

والقرآن الكريم يبدأ في حشد المستضعفين بالقوة من الداخل باتباع عدة أساليب ترتكز على تفريغ نفوسهم من مشاعر الضعف التي تدفعهم إلى هذا فيبدأ بتعرية أولئك الذين يتخذونهم أوثاناً يعبدونهم من دون الله أو يخضعون لهم عن ضعف واستسلام فيحاول تجريدهم من كل عناصر القوة سواء عادت عليهم بالنفع لهم أو الضرر بشكل عام أو ارتباط الرزق والموت والحياة بهم أو غير ذلك، لأن مصدر ذلك

كله هو الله ومرجعه إليه. فهو الذي يملك كل شيء في الوجود، وهذا ما عبرت عنه الآيات الكريمة بوضوح:

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢].

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً﴾[٣].

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾[٤].

وهكذا يمتد هذا الأسلوب ويتنوع في إثارة الشعور بتفاهة هؤلاء مهما كبرت مظاهر القوة لديهم أو تعددت مصادرها عندهم، فهم لا

---

(١) سورة المائدة: ٧٦.

(٢) سورة العنكبوت: ١٧.

(٣) سورة الفرقان: ٣.

(٤) سورة سبأ: ٢٢.

يستطيعون الاستغلال في الضرر والنفع حتى لأنفسهم فكيف يستطيعونها لغيرهم. ويتعاظم هذا الاتجاه في كثير من الآيات حتى ينتهي الأمر إلى أن يطلب من الناس الذين يشعرون بالضعف والظلم أمام هؤلاء المتجبرين أن يتخلصوا من الوقوع تحت تأثير المظاهر الخادعة لهؤلاء لينتهوا إلى الحقيقة الواضحة، فلا معنى للخضوع واستمرار الظلم عليهم. ومن هنا تبدأ المسؤولية في رفع الظلم عن هؤلاء المستضعفين ويكون طريق نجاتهم من أيدي الظالمين، هو مواجهتهم المسلحة لردع الظالمين، ولذلك كان الجهاد إحدى الغايات السامية لإنقاذ المستضعفين من براثن الجبابرة والمتسلطين.

٣ـ رفع الظلم عن الإنسان:

يحاول القرآن الكريم أن يثير لدى المظلومين والضعفاء الشعور بضرورة الوقوف موقفاً إيجابياً في مواجهة الظالمين من أجل مقاومتهم وتحطيم قوتهم وكسر شوكتهم، فيأذن لهم بالقتال دفاعاً عن حقهم في البقاء في ديارهم وحرية ممارستهم للعقيدة التي يؤمنون بها.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ

يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

فقد أذن الله للمظلومين بالقتال مع الإشارة إلى حيثيات هذا الإذن وأسبابه التي تتمثل في الدفاع عن حقهم الشرعي في البقاء في ديارهم أحراراً فيما يؤمنون به من عقيدة وفيما يقومون به من عمل، ثم تعهد لهم بالنصر على الأعداء فيما إذا استمروا في الخط السليم والمسار الصحيح الذي يلتقي بالله وسيلة وغاية.

ثم أراد القرآن الكريم التأكيد على أسلوب مقاومة الضعفاء للأقوياء الذين يستغلون قوتهم في سبيل اضطهاد الضعفاء. يلتقي بالسنة الطبيعية التي سنها للحياة ليشعر الإنسان بالاطمئنان لحياته ومقدساته فلولا ذلك لما استقام نظام على وجه الأرض، ولما عاشت قيم ومقدسات ولعمت الفوضى وانتشرت ثقافة الغاب، واختل النظام وانعدمت الحريات، فهو التبرير الشرعي والطبيعي لكي نقاتل ونقتل أعداء الحرية والحياة. ولأن ذلك هو الطريق الواقعي لبناء الحياة واستمرارها على أساس النظام العادل.

---

(١) سورة المؤمنون: ٣٩-٤٠.

إن إحدى غايات الجهاد هو نجدة المظلومين أين ما كانوا، لأن الإسلام لا يعترف إلا بالحدود الأيديولوجية، فأين ما كان المسلمون الذين يتعرضون لقمع وضغط وظلم حكوماتهم وأجهزتها أو ضغط مسلح تمارسه الدول غير الإسلامية على أتباعها المسلمين، فهنا من حق المسلمين بل من واجبهم الدفاع عن حقوقهم وحرياتهم.

وتبادر القوى المجاهدة إلى الكفاح الدفاعي المسلح من أجل إزالة الظلم وكل ظروف الاختناق والإرهاب، وإذا لم يبادروا إلى مثل هذا الجهاد فسوف يسود العالم جو من الإرهاب والتهديد والتعذيب والاختناق الفكري والضياع والفساد.

إن الإسلام يهدف من غايات الجهاد إلى حماية دولة الحق وحماية المسلمين وإنقاذهم من سلطان الباطل وإخراجهم من عبادة الناس إلى عبادة الله يخرجهم من الظلمات إلى النور. ويريد لهم أن يكونوا أكبر قوة ضاربة في العالم وليس ذلك لانتزاع حريات الناس واستعبادهم ولا لاغتصاب ديارهم والاستئثار بخيرات أراضيهم، ولا لفرض مبدأ أو إكراه على عقيدة، لأن الناس سواسية كأسنان المشط، نعم الضابط والفارق هو أكرمكم عند الله أتقاكم، وإذا اتخذ الناس شعارات فشعار المسلم أن لا يخش أحداً إلا الله والذي اتصف بهذا يربأ بنفسه أن يسكت على منكر أو يغمض على أذى أو يغض طرفه عن ظلم، إن المرحلة التي يمر بها المسلمون اليوم لم يسبق لها مثيل في التاريخ أبداً، لما بلغ من كيد

العدو في إحكامه ونفاذه واتساع مداه ما بلغ اليوم والجهاد ومواجهة الأعداء هو الوسيلة الوحيدة والكفيلة لحفظ إيمان المؤمنين وعقيدتهم.

إن العدو اليوم لا يستعمل أسلحته المادية فحسب في قتال المسلمين، بل لديه إلى جانب ذلك أسلحة نفسية ومكتشفات علمية وهي أمضى من الأسلحة الأولى، وهدفهم أن يستسلم المسلمون أمامهم. ولقد فطن العدو إلى أمر هام وهو أهمية تغيير قلوب المسلمين وتضليل عقولهم، وهنالك بدأت سياسة أخرى ذكية حيث بدأت سياسة الجامعات والبعثات والاستشراق والتبشير بالنصرانية، كما وضعت الفضائية لهذا الغرض يقول في هذا الشاعر الهندي أكبر إله أيادي: (لقد أخطأ فرعون في تقتيل الأبناء واستحياء النساء، ولو علم شيئاً من السياسة الحديثة لافتتح لهؤلاء الذين قتلهم المدارس وتوصل بذلك إلى ما يريد ويسمى عندئذٍ (ناشر العلم والفضيلة).[1]

وهكذا أخذت السياسة الغربية في بلاد المسلمين تحصل على موطأ قدم، والمسلمون في كل الأقطار الإسلامية ينشؤون كما يريد أعداؤهم، وحين يوجد في المسلمين من ينذر بخطر أو ينبه إلى غائلة فمن الصعب أن يوصل صوته وسط هذا الضجيج الذي أحدثه الغرب الآن، وأول

---

(١) سبيل الدعوة الإسلامية، د. محمد أمين المصري، ط١ ــ ١٤٠٠ هــ دار الأرقم الكويت: ص ١٣٨.

ما يتهم به هو الإرهاب الذي أصبح موضة العصر. وهذا في الواقع يعود سببه إلى ابتعاد المسلمين عن شريعتهم السمحاء وعن خط الأئمة الأطهار (عليهم آلاف التحية والسلام)، لأن هؤلاء يمثلون الامتداد الحقيقي للرسالة السماوية ومنهجهم وتعاليمهم (عليهم السلام) هي المنقذة للبشرية، ولو تمسك الناس بها ما أصابهم الوهن ولا الضعف ولكانوا أكبر قوة علمية وفكرية وعسكرية يحسب لها ألف حساب ولم يستطع أحد اختراقها؛ لأن تعاليمهم (عليهم السلام) تضع الإنسان أمام حقيقةٍ واحدة، وهي الذوبان في ذات الله تعالى، فعندئذٍ تتحطم جميع القوى المضادة وتتحقق جميع الآمال.

دلالات بعض آيات الجهاد

في هذ المقام نتناول بعض الآيات الكريمة التي دلّت على الجهاد منها:

١ـ ما دل على إعداد القوة:

قال تعالى: ﴿وأعدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ *﴾[1].

ترشد الآية الكريمة عقلائياً إلى الشرط الأول لمقابلة الخصم ومقاتلة العدو من التهيؤ والاستعداد العسكري حتى يناسب القوى المقابلة معاً.

وقد صرحت الآية بأن أعدوا أيها المؤمنون ما استطعتم من قوة في كل زمان حسب مقتضياته وأشكال أسلحته، سواء أكانت من أدنى

---

(١) سورة الانفال: الآية ٦٠.

شيء إلى أكبر شيء حتى الأسلحة النووية كما في عصرنا الحاضر التي تستعمل في الهواء والفضاء وإلى غير ذلك.

بل لابد من التهيؤ بمستوى يرهب عدو الله وعدوكم بحيث كلما طمع فيكم العدو شيئاً دخله الرعب والرهبة وانصرف مدهوشاً، واعلموا أنكم كلما جاهدتم في سبيل الله كنتم أنتم الفاتحين إن شاء الله وكل ما أنفقتم من مال وغير ذلك في سبيل الله سيوفيه الله تعالى إليكم بتمامه بلا انعدام ولا نقصان ولا تظلمون فتيلاً.

إذن الآية الكريمة خلاصتها تحث المجتمع المسلم أن يتوقى بالعلم والتسلح والاستعداد النفسي والبدني ليردع العدو عن تجاوزه أو اهتضام حقوقه فإن إعداد القوة جزء من السياسة الدفاعية الشاملة، فلا بد للمجتمع من استعداد وإعداد بمستوى التعبئة والتجنيد والتسليح والتمويل.

٢ـ ما دل على الجهاد الدفاعي:

والمراد بالدفاعي في اللغة: منع الغير وإيجاد المانع بتحصيل المقتضى وفي المصطلح دفع الخصم ومنعه عن تخلف شؤون الحياة كالنفس والعرض والمال والدين من أعلى مراتب العرض وأثمن وأغلى شؤون الحياة حيث إنه يدافع عنه بالمال والعرض بل النفس في بعض مراتب وهو أمر عقلائي يدركه كل إنسان بل يحسبه كل ذي حياة، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوَاْ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ﴾[2].

والظاهر إن الخطاب لم يوجه إلى فئة خاصة من المجتمع ولا إلى جهاز السلطة، وإنما إلى الأمة بنحو عام مما يكشف عن أن الجهاد واجب على الجميع ووجوبه في بعض موارده كفائي كما هو الغالب وفي بعض موارده عيني.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٤.

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٠.

٣ـ ما دل على جهاد النصرة:

وقد شرعه الباري عز وجل على مستوى التشريع والانشاء أمر بالإعداد والاستعداد له على مستوى التوقي والحذر وبين ذلك صراحة طبيعة الدفاعية في جملة من الآيات وأمر بخوضه حيثما يفرضه العدو على المسلمين أو غيرهم، وذلك في مثل قوله عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[1].

من خلال إطلاق الآيات نجد الخطاب في إطلاقه وعمومه يمنعان من انحصار الإذن بفئة أو جماعة بل كل من تعرض للظلم والتهجيرأ وهذا

---

(١) سورة الحج: ٣٩. ٤٠. ٤١.

ما يعده قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1].

فإنها صريحة في أن المسلم إنما يقاتل دفاعاً عن حريته وكرامته ولا ستعادة حقوقه المهضومة فيها إذا قوتل، لكن لا ينبغي له أن يبتدئ قتالاً بالعدوان أو يعتدي في الدفاع من قبل بدفع البعض ببعض ونصر الناصر، وأن ذلك من تشريع الله تعالى وفضله على العالمين ليهتدي كثير من عباده ولينجوا من أيدي الظلمة الذين يصدون عن سبيل الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة ١٩٠.

٤ـ ما دل على جهاد الصلح:

وهو استجابة للصلح والسلام فيما إذا دعي إليه بعد وضع الحرب أوزارها والله تعالى قد أمر بقبوله إذا جنحوا له بقوله آمراً نبيه (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) لا تقبل منهم متعاهداً معهم متوكلاً على الله تعالى، فإن كانوا في ذلك صادقين فبها ونعمتأ وإن يريد خيانتك وخداعك فلا تجنح لهم.

واستقم كما أمرت فإن حسبك الله الذي أيدك بنصره بالمؤمنين ولا يضرك خداعهم في مناصرتك بعد الاستقامة وإدامة الجهاد.[١]

ولما كان الأمر عقلائياً مرشداً إليه قد يجوز دعوة أمير المسلمين وحاكمهم الكفار إلى السلم بإيقاف الحرب كما يجوز الجنوح لدعوة الكفار إليه متعاهدون معهم إعداداً للقوة وما استطاعوا وتجديداً لها تقويةً لشؤونهم الحيوية والعسكرية حتى يرجعوا مكافحين مع تجمع الشروط ثانياً لا تسليماً لهم حتى يؤدي إلى نفوذ الكفر في الإسلام،

---

(١) فقه الدولة: ج٢، ص ٤٩٣، مع التصرف. الشيخ فاضل الصفار.

فإنه لم يجعل الله للكافرين على المسلمين سبيلاً والمسلمون هم الأعلون بطبعهم.

وعلى هذا فإن الأصل في سياسة الإسلام هو الصلح والسلام فلا يؤخذون أعداءهم بما سلف منهم من عدوان إن كفو عنه، ولكن إذا عادوا إليه ثانية فإنهم سيقابلون بالحرب التي تنهي قدرتهم على العدوان من جديد.

فلذا نجد ازدياد اخطار الحروب على المجتمع فلا بد على الأمم أن تسعى بكل جهدها ليعمّ السلام في الزمن الحاضر، حيث ازدادت أخطار الحرب زيادةٍ كبيرة غير متصورة وسبب هذه الزيادة أمور منها:

الأ سلحة الفتاكة التي اكتشفها العلم وا ستعمال هذه الأ سلحة في الحروب يوجب نسف الحضارة من غير فرق بين الحروب المحدودة والحروب العالمية. فبعد السعي والدعوة إلى روح السلام الذي يقضي العيش في ضل الحضارة التي ينتمي إليها الإنسان ويشعر بكل كيانه أنه ينتمي إلى حضارة ملؤها المحبة والكرامة، وما أفضل روح الإ سلام والدولة العريقة التي ينتظرها كل إنسان محب لروح السلام ألا وهي دولة العدل الإلهي التي يشيدها الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف).

و لذا ورد في الأحاديث أن محور حروب الإمام (عليه السلام) وأصحابه هو ما بين مكة والكوفة وهذه مسافة قصيرة جداً، أما بقية البلاد فإنها ستلتف تحت لوائه (عليه السلام) بدون حرب.

٥ـ ما دل على الجهاد الفكري:

ونقصد بالجهاد الفكري: هو أحد أنواع الجهاد بل أهمها إن صح التعبير فبما إن العدو قد يباغتنا ويوقعنا في الأخطاء والمنزلقات فكل يبذل جهده عن طريق توعية الناس ويحول دون حصول أي انحراف أو سوء فهم، فهذا الجهد المبذول اتجاه الأفكار المنحرفة التي يشوّه بها سمعة الإسلام وأهداف الإسلام لكي نأخذ العبر من الماضي لا بد أن نعي ما يحدث وما يدور حولنا من أفكار منحرفة تريد بنا أن تحرف مسار المسلمين وتسلخهم من دينهم وعقيدتهم، يجب علينا أن نتصدى بكل جهودنا الفكرية والثقافية لرد الشبهات التي نُرمى بها بل يجب مواجهة العدو وغزوه بالأفكار الإسلامية السامية وبيان حقيقة الإسلام وهو الدين القيم الذي جعله الله يعلو ولا يُعلى عليه.

٦ـ الجهاد الإعلامي:

يعتبر أحد أنواع الجهاد، وله دوره في تقوية شوكة المجاهدين وإضعاف العدو، وهذا النوع فيه الإيجابي والسلبي. فما كان ضمن الضوابط الشرعية، ولا يعتمد التدليس وطمس الحقائق ويسعى لزرع روح الثقة بالنفس فمرغوب به شرعاً وعقلاً.. وما كان يحمل بين جنباته الغش والتزوير وطمس الحقائق وإثارة روح الانهزام والخيانة فأمر منهي عنه ولا تقبله الشرائع الإلهية ولا الطبائع السليمة. نعم ما كان انتصاراً للحق ويرسم الطريق الناصع دون لبس أو إغماض عن حقيقة لا بد من إشاعته وتثقيف المجتمع الإسلامي والمجاهدين بالخصوص عليه. إن السياسات الظالمة اليوم تستعمل هذا النوع حرباً ضروساً تستغل به النفوس المريضة. إن الذين يتربصون بالإسلام والمجاهدين الدوائر ويكيلون لهم التهم يبذلون الغالي والنفيس من أجل إفشال هذا المشروع وتحطيم الروح المعنوية العالية للمجاهدين.

خصائص الجهاد

الجانب الأول: كونه باب من أبواب الجنة

انطلاقاً من خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) في حثه على الجهاد حيث بيّن الجانب الإيجابي والسلبي للجهاد، فقد استهل الخطبة بشرح أهمية الجهاد ومعطياته والعواقب الوخيمة التي تنتظر الأُمّة في حالة تركه فقال:

(أَمّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِباسُ التَّقْوَى وَدِرْعُ اللّهِ الْحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وَشَمِلَهُ الْبَلاءُ، وَدُيِّثَ بِالصَّغارِ وَالْقَماءَةِ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالإسْهابِ، وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهادِ، وَسِيمَ الْخَسْفَ، وَمُنِعَ النَّصَفَ)[1].

أطلق الإمام عبارات قصيرة ذات معاني عميقة.

وأول وصف للجهاد قال: إنه باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه.

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ٢٧ خطبة الجهاد.

بطبيعة الحال إن الإنســـان الذي يريد أن ينال رضـــا الله عز وجل ويدخل مع عباد الرحمن ويفوز بالجنان لا ينال ذلك إلا بعدة أســـباب. ومن جملتها الجهاد فليس نيل الجنة والفوز برضـــوان الله عز وجل غير محصور بطريق واحد أو بسبب واحد من هذه الأسباب هو الجهاد لو فتشنا في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) لو وجدنا عدة أحاديث تصف الجهاد بوصف أبواب الجنة، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه الســلام) حيث قال إن رســول الله (صــلى الله عليه واله) قال: (للجنة باب يقال له ـ باب الجهاد ـ يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم واجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم)[1].

وهذا أكبر عطاء لمن بذل نفسه في سبيل الله وهو العطاء الرباني في الدنيا والآخرة لمن يتعقبه من الأجيال حيث يكون نوراً في درب الثائرين ومثل أعلى لمن اقتدى به.

ولهذا قال أمير المؤمنين (عليه الســـلام): فتحه الله – أي الجهاد – لخاصة أوليائه، وهو من أبواب الجنة فلا يدخله إلا المجاهدون في سبيل الله. وهذا من الدوافع التي يرسمها أهل البيت (عليهم الســـلام) في

---

(١) الكافي: ٥ كتاب الجهاد باب فضل الجهاد ح٢.

طريق المجاهدين وهو الجانب الإيجابي يرفع به المعنويات وروح الحماسة والشجاعة لتضحية في سبيل الله.

وهو من الدوافع المنسجمة مع الفضائل الروحية والأخلاقية العالية، ولا يوجد تنافي مع طبيعة الحرب والدفاع بل منسجم ومناسب مع من يتخذه طريقاً للرقي الروحي والأخلاقي.

ولعل من يقول: إن صعوبة الجهاد والدفاع على الإنسان مع طبيعة المجتمع لا تتلائم وروح الحرب لكن لأجل ذلك يتقبل الإنسان هذا المعنى ويتحرك وراء الجهاد والدفاع لابد له من دوافع كافية لذلك، لأن البعض يعطي الجهاد والدفاع والحماسة صبغة دنيوية فتارة يعدون المقاتلين والمدافعين بالانتصار للحصول على رفعة دنيوية من جهة المنصب ومصالح الدنيا ويعدونهم بالجوائز وأمثال ذلك، وتارة يستعملون أسلوب التهديد مع المدافعين والمقاتلين وإنه إن لم تقاتلون عدوكم وتدافعوا عن وطنكم سوف تخسرون أرضكم وتفقدون أولادكم إلى آخر الأمور.

وهذا الوعد والوعيد دليل على أن الجهاد والدفاع ليس له صيغة إيمانية، فلا يوجد في الوعود روح الإيمان، بل وعود دنيوية، فلا يصل بذلك إلى الجنة التي رسمها أهل البيت (عليهم السلام) ووعدوا بها المجاهدين.

ولو جئنا إلى كلام أهل البيت (عليهم السلام) وثقافتهم للحرب لوجدناها ممتزجة مع روح الإيمان والحماسة وهي الغاية والهدف، فلا توجد في مضامين كتب أهل البيت (عليهم السلام) أي وعد بالوصول إلى أمور مادية.

فعندما يرسل أمير المؤمنين (عليه السلام) القوات إلى جبهات القتال أو يأمر بإرسالهم نجد في خطبته أسلوب التشوق إلى الآخرة والدعوة إلى ترك الدنيا وإحياء روح الشوق إلى لقاء الله وأمثال ذلك.

بل نجد العكس من ذلك أن الإمام يتخذ النصائح في ترك المغريات الدنيوية ويتخذ المشوقات من أجل شحن الهمم، فإنه إذا أرسل المقاتلين والمرابطين كان يحثّهم للجهاد والدفاع يقول: (من زهد في الدنيا استهان بالمصيبات)[1].

والسر في إن المصيبة الدنيوية صعبة على الإنسان حيث يفقد الإنسان بها محبوبه سواء المادي أو غيره ولكن من كان يحمل جانب الزهد يتنزّه فيها عن محبة الدنيا.

---

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم ٣١.

فلذا كان الإمام (عليه السلام) يوضح هنا من تعلق بشيء من أمور الدنيا ومتاعها، فإنك في الحقيقة قد أحببت شيئاً معرضاً زائلاً عنك ولا يبادلك المحبة وسوف يتركك.

إذن فلماذا يتعلق بـ شيء يـ سعى لطرده وإذلاله بكل قواه (زهدك في راغب فيك نقصـــان حظ ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس) أنت عزيز فلا تذلن نفســـك، إن الملائكة راغبة فيك والجنة منتظرة قدومك والأنبياء والأولياء والشـــهداء والصـــالحين والصـــديقين يرحبون بك والجنة جنة اللقاء الأبدي فلا تحرم هؤلاء من علاقتهم ورغبتهم إليك، فلماذا لا نقابلهم بذلك؟

وزهدك هذا وعدم رغبتك فيمن يحبك دليل على نقصـــان حظك وفي المقابل نجد أن الدنيا تعاديك بكل قواها وتحاول الإضـــرار بك وتحطمك ولكنك مع ذلك متعلق بها.

وهكذا من أراد أن يفكر بالعقل الســـليم ليصـــل إلى مراضـــاة الله سبحانه ويكون من الأولياء وتشتاق الجنة له وتفتح أبوابها أمامه. لابد أن يجعل الدنيا بكل زخارفها وحطامها وراء ظهره، ويكون مقصده رضا المولى والقرب منه، ولا يحصـــل ذلك إلا بالجهاد وبذل النفس رخيصـــة دون الهدف المرغوب.

الجانب الثاني: لباس التقوى.

حيث قال الإمام علي (عليه السلام) في خطبته المباركة: (وهو – الجهاد – لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة).

نعم إن اللباس زينة الإنسان وجماله، ومن جانب آخر فإنه حافظ لبدنه من شدة الحر والبرد التي تؤذيه، وهكذا كان الجهاد يشكل أساس قوة للشعوب ودرعاً حافظاً من أنواع المخاطر.

وهذا المعنى يستفيد منه الإنسان المقاتل والمجاهد وهو معنى مشوق لبذل النفس لكي يحظى بالكمال الروحي من خلال التدرع بالتقوى، بينما له تفسير آخر وهو تفسير لباس التقوى في الثوب، ومعنى آخر هو التسبيح والعبادات والمناجات بدون مشقة، ولكن أصحاب الروح الحماسية والجهادية يرون لباس التقوى هو حمل السلاح والتدرع في سبيل دين الله.

ولولا الجهاد الذي ندفع به العدو ونصدهم به، لما كان هناك عبادة لله ولا كان هناك من يقول: لا إله إلا الله ويدين بدين الله، ولكن ثبّت الله الدين من خلال أركانه وهو الجهاد، فلذا قال الله في الآية الكريمة: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات

ومساجد ويذكر فيها اسم الله﴾[1]، يعني لولا المجاهدون في الخط المتقدم للقتال لا يبقى مسجد ولا كنيسة ولا صومعه ولا دين ولا راهب، لأن أعداء الله والدين يرون في كل ما يؤدي إلى ذكر الله هو أفيوناً للشعوب.

فلهذا أصبح الجهاد هو درعاً الإسلام الذي يصد به العدو ويكون عزيزاً مرهباً لهم.

وأصبح الجهاد درعاً من أجل حفظ المجتمع الإسلامي وإزالة الموانع التي تتعرض لها الأمة. وهنا حقيقة قد نكون غافلين عنها بأن الجهاد هو درع ودفاع ولا يراد به الهجوم على الآخرين لكي تتسع السيطرة عليهم أو سلب الأموال والثروات أو فرض أفكار وعقائد، كلا بل إننا نؤمن بأن الإسلام إنما يستند إلى منطق قوي يغنيه عن إشهار السيف بوجه المقابل، بل قلنا: إن الجهاد من أجل حفظ المجتمع الإسلامي من الموانع التي يتعرض لها الإسلام فكراً وأفراداً بشتى اتجاهاتها سواء كانت عسكرية أو اقتصادية أو سياسية أو فكرية أو عقائدية وهكذا.

---

(١) سورة الحج: الآية ١١.

الجانب الثالث: الجهاد عزة الإسلام.

كون الجهاد سر رفعة الشعوب وعزتها وتركه ذلاً لها.

الشـــيء المهم ا لذي نود التطرق إليه: أن الجهاد هو قانون الحياة وحيوية وديمومة الأمة للبقاء ولولاه كان الإنســـان وكل كائن ينبض بالحـ ياة يعيش حـ ياة ا لذل والعبود ية، فهو قوي وشـــامخ والعكس بالعكس، و لذا ورد في ا لحديث عن أمير المؤمنين (عليه الســـلام): (الجهاد عزٌ للإسلام)[1].

ولا شــك أن رفعه الإســلام بالجهاد فإنه رمز الحياة وســر الســعادة والسبب الرئيسي للنصر والغلبة وعامل الرفعة والعزة في كل الميادين التي يتخندق بها الإسلام مع العدو.

ومن هنا تظافرت الآيات القرآنية والروايات الإســـلامية بما فيها خطبة الإمام أمير المؤمنين (عليه ا لسلام) التي نحن بـ صددها حيث قال: (من تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء...).

---

(١) نهج البلاغة – الكلمات القصار: ٢٥٢.

فهنا نقلة نوعية فترى كيف يصـــاب الإنســـان عند ترك الحصـــن الحصين والالتجاء إلى الأمور المادية والرفاهية وغيرها فإن حقيقتها تذل الإنســان وتجعله خانع وخاضــع في كل تصــرفاته ويكون عيشــه نكداً. فلذا ورد في الحديث عن رســول الله (صــلى الله عليه وآله): (من ترك الجهاد البسه الله ذلاً في نفسه وفقراً في معيشته ومحقا في دينه)[١].

وهنا النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) يضع أمامنا الآثار السلبية التي تصـيب الإنســان الذي يتخلف عن الجهاد فتركه إنما يهدد بالخطر الحياة المعنوية للإنسان فضلاً عن الحياة المادية. وعلى العكس ما تصاب به الأمة عند ترك عز ومفخرة الإسلام. فالنبي (صلى الله عليه وآله) في كلام له آخر يقول: (اغزو تورثوا أبنائكم مجداً)[٢].

يعني أنتم أيها المجاهدون مفخرة التاريخ حيث تبقون خالدون، يفتخر بكم أقوامكم وأهلوكم وأبناؤكم لأنكم ضـــحيتم بالغالي والنفيس من أجل حياة حرة كريمة، ولكن نجد في مقابل ذلك تحذير أمير المؤمنين (عليه الســـلام) بكلام له حيث يقول: (... وقلت لكم

---

(١) بحار الانوار: ج٩/٩٨.

(٢) أصول الكافي: ج٨/٥.

اغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا)[١].

ومن الواضح إن من يتعرض للهجوم في عقر داره إنما يفقد معنوياته ويشعر بالهزيمة والفشل في نهاية الأمر ومن جانب آخر إن المهاجم الذي يتعرض إلى قوم في عقر دارهم لا يفكر أبداً في حفظ حرمة الدار والممتلكات، بل يدمر كل شيء فيها.

وأضف إلى ذلك فإن مثل هذه الأرض المحروقة تصبح مسرحاً للقتال، الأمر الذي يؤدي إلى سفك الدماء سواء كانوا من الصبية أم النساء، فإذا حدث ذلك يكون عامل مساعد للهزيمة أمام العدو ومدعاة للخسران.

ومن هنا يحثنا أهل البيت (عليهم السلام) أن تتخذ العدة والعدد للتصدي للعدو قبل أن يغزونا، لكي نعيش العزة والرفعة والشموخ والصمود إلى آخر الأمر.

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ٢٧.

شروط قبول الجهاد

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

إن تجارة المؤمنين مع الله سبحانه وتعالى وهو الشاري لأموالهم وأنفسهم وهو يعدهم الجنة عوضاً.

وبالطبع فإن الله تعالى لا يشتري كل مال ونفس، بل إن لهذه المعاملة شروطاً ولمن يشتري اللهُ تعالى أنفسَهم وأموالهم صفات تحددها الآية الكريمة التالية:

---

(١) سورة التوبة: آية ١١١.

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].[2]

والآن نأتي إلى تفصيل ما أجملته الآية الكريمة من شروط التجارة مع الله تعالى.

الشرط الأول: التائبون، أول تلك الشروط هي تدارك ما فات. أي التوبة والإنابة إلى الله تعالى. فالشرط الأول الواجب توفره في المجاهد في سبيل الله هو التوبة والإنابة إلى الله تعالى وتدارك ما فات، فيقضي ما عليه من صلاة وصيام مثلاً، ويؤدي ما بذمته من حقوق شرعية ويستثمر

---

(١) سورة التوبة: آية ١١٢.

(٢) في كتاب الكافي، للكليني بإسناده عن سماعة عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: لقى عباد البصري علي بن الحسين (عليه السلام) في طريق مكة، فقال له: يا على بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحج ولينه، إن الله عزّ وجلّ يقول: (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله) الآية فقال علي بن الحسين (صلوات الله عليه): أتم الآية فقال (التائبون العابدون) الآية، فقال علي بن الحسين (عليه السلام): إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج.

ـ وعلق العلامة الطباطبائي على الرواية في تفسير الميزان ج٩ ص٤٠٥ بقوله: (يُريدُ عليه السلام ما في الآية الثانية (التائبون العابدون...) من الأوصاف.

أوقات فراغه في الجبهة في أداء ما عليه من صلاة قضاء واستغفار وقراءة القرآن والتفكر به وقراءة الأدعية والمناجاة الخاصة.

أما إذا كان قد ارتكب في الماضي ـ لا سمح الله ـ بعض المعاصي غفلةً أو جهلاً فعليه تدارك ذلك بالاشتغال بالمناجاة والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى والبكاء في حضرته القدسية وبالتالي أن يغتسل في الجبهة بماء التوبة الطاهر، وحذار حذار من ارتكاب المعاصي السابقة ـ والعياذ بالله ـ الحذر كل الحذر من الوقوع في الكذب والغيبة وإثارة الشائعات وعدم التحرج تجاه أموال المسلمين، فلن يشتري الله مال ونفس من يرتكب المعاصي، ولله الحمد والمن فقد تحول وضع الخنادق حالياً إلى الصورة التي أصبحت معها محلاً للعبادة وتهذيب النفوس والارتباط بالله تعالى.

الشرط الثاني: اشتغال المجاهدين بالعبادة، وقد تقدم توضيحه، فالخندق يجب أن يكون محلاً لإقامة صلاة الليل وتلاوة القران. يحدثنا التاريخ عن سيرة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن يترك الصلاة في وقتها في أحرج ساعات الحرب وأكثرها حساسية، بل كان يحرص على إقامة معظم الصلوات جماعة.

المجاهد يجب أن يحذر من عدوين في وقت واحد ويحاربهما ويجاهدهما معاً، إحداهما المعتدي الخارجي الذي يهاجم حدود المسلمين والآخر

الداخلي وهو النفس الأمارة بالسوء. وكلا العدوين تجب محاربتهما بقوةٍ وبطولةٍ ورجولة وتحقيق النصر عليهما بالإرادة الصلبة.

يذكر المؤرخون، إن العقيلة زينب (عليها السلام) لم تترك صلاة الليل طول سفرها الصعب والقاسي خلال سبيها بعد واقعة الطف.

ويذكر المؤرخون أيضاً إن أصحاب أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) كانوا طوال ليلة العاشر من المحرم، ما بين راكعٍ ساجدٍ وتالٍ للقرآن، فكان يُسمع لهم من ذلك دوي كدوي النحل، والسفر إلى الشام، كان صعباً وقاسياً.

نعم، جبهة، الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه كانت معبداً حقاً وأنتم يا أنصار الحسين أنتم يا من سمعتم بقلوبكم عبر كل هذه القرون، نداءَ (هل من ناصر ينصرني) فلبيتم النداء بأرواحكم عليكم أن تقتدوا بإمامكم وتجعلوا ميادين قتالكم كميادين الطف محاريب للشهادة والدم، كونوا أيها الأعزاء على حذر ويقظة من مكر كلا العدوين.

الشرط الثالث: شكر نعم الله تعالى: عليكم ان تشكروا الله وتحمدونه في خنادقكم وجبهاتكم، لأنه وفقكم للجهاد في سبيله، ووفقكم للتواجد في هذه الأماكن المقدسة، وأبعدكم عن الضلال وأوكار التآمر والأوكار المشبوهة، فكم من شباب كانوا في تلك الأوكار

في البداية مســـلمين ثوريين أمثالكم ولكن عاقبة أعمالهم آلت إلى السوء.

أيها الأخوة..

فكروا في التوفيق والنعمة التي وُهبت لكم بالحضور في جبهات الصراع المقدس ضد الباطل، ونعمة الحصانة والمناعة ضد الانحراف.

أيها الأخوة المجاهدون.. إذا سجدتم شكراً لله ألف مرة في اليوم، لكان مناسباً ولما وفيتم بذلك حق شكره، فكروا هل كانت نجاتكم وخلاصكم من تسلط قوى الكفر ممكناً، لولا رحمة الله تعالى ورعايته.

إذا أرسل أحداً قسراً وخلاف رغبته والعياذ بالله، فلن يكون أهلاً لأن يشتري الله نفسه وماله؛ لأنه لم يعرف قيمة التوفيق للجهاد في سبيل الله والذهاب إلى جبهات قتال أعدائه تعالى.

نعم، عليكم جميعاً أن تشكروا الله وتحمدوه على نعمائه أنتم لم تقوموا من أجل الدنيا ومادياتها، بل من أجل إحياء دين الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) وانتفضتم وثرتم لنشر راية التوحيد في العالم. ومعروف أن تطبيق الأحكام الإلهية يستلزم وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً وخاصةً في الظروف الحالية حيث اتحد أعداء الإسلام جميعاً من أجل وأد كلمة الله والحيلولة دون انتشارها.

النبي الأكرم (صلى الله عليه واله) لم يكن لديه أعداء كأمريكا وإسرائيل وحلفائهم من الدواعش ومن لف لفهم ورغم ذلك فقد استغرق تثبيته (صلى الله عليه واله) لأنظمة الحكم الإلهي الواحدة بعد الأخرى إلى ثلاثة وعشرين عاماً، أنتم لديكم الآن مصاعب وعراقيل خارجية كبرى على مستوى العالم وأخرى داخلية أيضاً، وللتغلب عليها يجب على المجاهد أن يهذب نفسه ويصطبغ بصبغة الله تعالى بحيث لا يبقى هناك محور له وحاكم عليه سوى الله تعالى، عندما يذهب إلى ميادين الجهاد ويودع روحه وماله بيد الله عز وجل، عليه أن يكون حذراً ويسعى لكي يلاقي الله تعالى بنفس النية السليمة التي ذهب بها إلى الجبهة دون أن تشوبها شائبة، كونوا حذرين كيلا تسقطوا في حبائل الشيطان وتحبط أعمالكم بالغيبة والكذب والسخرية وإثارة الشائعات وإطلاق التهم وغيرها من الذنوب.

توسلوا بالتخلية والتحلية وتهذيب الأخلاق وأنتم في طريقكم إلى لقاء الله سابقوا إلى قربه تعالى وتحسسوا هيمنته تعالى على أرواحكم واعلموا أن ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى

النُّورِ﴾[1]، والذين آمنوا يهيمن الله تعالى على قلوبهم ويشتري الله منهم أنفسهم وأموالهم ويرعاهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

الشرط الرابع: هو كثرة الركوع والسجود: فالخندق يجب أن يصبح محراب المجاهد فقد نقل عن (أويس القرني) الكثير من الحالات الغريبة، حيث كان له وردٌ خاصٌ في كل ليلة، ففي إحدى الليالي ظل راكعاً حتى الفجر، وأخرى ظل ساجداً حتى الفجر، وثالثة ظل قائماً حتى الفجر. وينقل عن (أويس) أيضاً إنه قدم إلى المدينة للتشرف برؤية رسول الله (صلى الله عليه واله) ولكنه لم يوفق إلى ذلك إذ كان الرسول خارجاً عن المدينة في سفر، وعندما عاد (صلى الله عليه واله) قال : (إني لأجد رائحة الله في المدينة...). نعم لقد كان (أويس القرني ذائباً في الله تعالى وفي رسوله وعاشقاً حقيقياً له (صلى الله عليه وآله) ومرتبطاً به روحياً إلى الحد الذي أنه عندما كسرت بعض أسنان الرسول (صلى الله عليه وآله) في معركة أحد سقطت بعض أسنان أويس رغم انه لم يكن قد رأى الرسول (صلى الله عليه واله) حتى ذلك الوقت أصلاً.[2]

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٧.

(٢) أعيان الشيعة: ج٣، ص٥١٢.

وكانت عاقبة أويس الحسنى بعد عدة سنين هي الشهادة في معسكر أمير المؤمنين (عليه السلام) في معركة صفين وعرجت روحه الزكية إلى بارئها جل وعلا.

فيا أيها المجاهدون أيها المرابطون في الجبهات إذا أردتم أن تصبحوا أهلاً للتجارة مع الله تعالى فأكثروا من ذكره تعالى وعبادته والركوع والسجود الطويل.

إن الصلاة هي أفضل عمل يقرب العبد إلى بارئه وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فصلّوا النوافل في الجبهات أدّوا ما عليكم من الصلوات قضاءً واحفظوا ألسنتكم عمقوا التقوى في أنفسكم لكي تكونوا أهلاً لأن تنطبق عليكم الآية الكريمة ويوفقكم الله لشرف لقائه وقربه عز وجل.

الشرط الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: هذه الفريضة الإلهية الهامة فاحرصوا عليها وحافظوا عليها في المجتمع، كي تتنور أنفسكم بنور العناية الإلهية ورعاية إمام العصر (عجل الله تعالى فرجه في أداء هذه الفريضة. احرصوا على مراعاة الأخلاق الإسلامية كاملة فلن تستطيعوا بأي حال أن تؤدوا هذه الفريضة وهذه العبادة العظيمة بالصورة المطلوبة، إذا لجأتم إلى الغضب والغلظة والعنف والخشونة في الأخلاق، بل يمكن أداؤها بالكلمة الطيبة والتعامل الصحيح

والأخوي، ليكن كل منكم واعظاً للآخر، واحرصوا على الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. في الجبهة وفي أوقات الفراغ احرصوا على أن يعلّم العالم منكم الآخرين، تدارسوا الأحكام الشرعية واحرصوا على التعليم والتعلّم.

أيها الأعزاء في الجبهة وفي غيرها تجنبوا اللغو وآفات اللسان فهي تورث ضغط القبر وكدورة القلب، وبدلاً عن اللغو الغليظ فليشتغل المجاهد بالتسبيح والاستغفار، ويذكر أحدكم الآخر بالتوبة والإنابة إلى الله.

الشرط السادس: حفظ حدود الله: فلا تقعوا في المعاصي فتتجاوزوا حدود الله، فأفضل الأعمال اجتناب المحارم، وثوابها أعظم من صلاة الليل والصيام المستحب وغيرها.

إن اجتناب المحارم ورعاية حدود الله وحفظها هي أفضل أعمال المجاهد في سبيل الله، سواء كان في الجبهة أو غيرها.

ومع توفر هذه الشروط يتأهل المجاهد للتجارة مع الله فيشتري الله تعالى منه مالهُ ونفسهُ فيكون جهاده مقبولاً عند الله تعالى وبهذا يصل المجاهد إلى الكمال وسعادة الخلد.[١]

---

(١) الجهاد وخصال المجاهدين، مركز بقية الله (مع التصرف).

الباب الثاني

آداب الجهاد وأصوله.

أخذ إذن الوالدين للجهاد.

سقوط الجهاد عن طوائف.

لا جهاد على المرأة.

آداب الجهاد وأصوله

الحرب ضرورة قصوى والضرورات تقدر بقدرها خصوصاً في مثل هذه الأيام التي يعيشـــها العالم اليوم من دمار وفناء وإبادة للحياة. ولذا نرى الإ سلام قد جعل للحرب أ صولاً وآداباً قد عقد العلماء في كتب الحديث بها بابين؛ أحدهما في آدب الســـرايا[1]. والثاني في أخلاقيات الحرب[2].

مع أن الجهاد واجب ابتدائي وا لدفاع كما هو معروف في كتب الفقه وإنما جعلت هذه الضـــوابط والقيود الكثيرة حتى تكون الحرب بقدر الضـرورة الشـديدة، ثم إذا انتهت الحرب يعفوا الإسـلام ويغفر ويطلق سراح المجرمين مهما وجد إلى ذلك سبيلاً.

---

(١) انظر الوسائل: ج١٥، ص٥٨باب ١٥ من أبواب الجهاد والعدو وما يناسبه.

(٢) المصـــدر نفســـه: ص٦٢ ص٧٠ باب ١٧ وباب ١٨ وباب ١٩ من أبواب الجهاد والعدو وما يناسبه.

ومن آداب الجهاد:

أخذ إذن الوالدين للجهاد

عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله إني راغب في الجهاد نشيط، قال: فجاهد في سبيل الله، فإنك إن تقتل كنت حياً عند الله ترزق وإن مت فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت خرجت من الذنوب كما ولدت، فقال: يا رسول الله إن لي والدين كبيرين يزعمان أنهما يأنسان بي ويكرهان خروجي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أقم مع والديك، فو الذي نفسي بيده لأنسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة.[1]

عن جابر قال: أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجل فقال: إني رجل شاب نشيط وأحب الجهاد ولي والدة تكره ذلك، فقال النبي

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥، ص٢٢٠، باب اشتراط إذن الوالدين في الجهاد ما لم يجب على الولد عينياً.

(صـــلى الله عليه وآله): ارجع فكن مع والدتك، فو الذي بعثني بالحق لأنسها بك ليلة خير من جهاد في سبيل الله سنة.[١]

روى ابن عباس قَالَ: أَتَى رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صـــَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ واله، فَقَالَ: " يَا رَسـُولَ اللَّهِ، أُجَاهِدُ؟ قَالَ: لَكَ أَبَوَانِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ" .[٢]

وعن أبي سـعيد الخدري، أن رجلاً هاجر إلى النبي (صـلى الله عليه وسلم) من اليمن، فقال: هل لك أحد باليمن؟ فقال: أبواي، فقال: أذنا لك؟، قال: لا، قال: فارجع إليهما، فاسـتأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبرهما.[٣]

نعم تحمل هذه الروايات على الاستحباب وليس على الوجوب.

---

(١) الكافي: ج٢، ص١٦٣.

(٢) انظر المستدرك: ج٢، ص٢٤٥، باب ٢ الرقم ٢.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٣، ح٢٣، ١٢٣٣٠.

سقوط الجهاد عن طوائف

ففي الحديث عن الحسن بن محبوب عن بعض أصحابه، قال: كتب أبو جعفر (عليه السلام) في رسالته إلى بعض خلفاء بني أمية ــ إلى أن قال – في ذم الخلفاء – الذين يكلفون ما لم يأمر به الله عز وجل، قال (عليه السلام) ثم كلف الأعمى والأعرج وا لذين يطيقون ما لا يطيقون.[١]

أقول: وذلك حسب ما جاء به القران الحكيم بهذا الصدد، قال سبحانه:

﴿لاّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا *دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢].

---

(١) الكافي: ج٥، ص٢٤.

(٢) سورة النساء: الآيات ٩٥ ــ ٩٦.

وقال سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1].

وقد روى زيد بن ثابت أنه لم يكن في آية نفي المساواة بين المجاهدين والقاعدين استثناء " غير أولي الضرر " فجاء ابن أم مكتوم وكان أعمى وهو يبكي، فقال: يا رسول الله كيف لمن لا يستطيع الجهاد؟ فغشيه الوحي ثانياً، ثم سرى عنه فقال: اقرأ " غير اولي الضرر " فألحقتها، والذي نفسي بيده، لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع في الكتف)[2].

وقد ذكر الفقهاء في كتاب الجهاد وانه يسقط الجهاد عن طوائف ست: الأعمى والأعرج والمريض، والذي لا يجد النفقة، والذي يكون الجهاد عليه ضرراً، والذي يكون عليه حرجاً في الجملة.

كما إن الجهاد يسقط عن المجنون والعبد والهرم.

---

(١) سورة الفتح: الآية ١٦.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١، ص ٢٣٨.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (رفع القلم عن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ)[١].

وعن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): (ليس على العبيد جهاد)[٢].

وهنالك روايات أخرى في هذا الصدد.

لا جهاد على المرأة

و عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ(عليه السلام): كَتَبَ اللَّهُ الْجِهَادَ عَلَى الرِّجَالِ والنِّسَاءِ فَجِهَادُ الرَّجُلِ بَذْلُ مَالِهِ ونَفْسِهِ حَتَّى يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وجِهَادُ الْمَرْأَةِ أَنْ تَصْبِرَ عَلَى مَا تَرَى مِنْ أَذَى زَوْجِهَا وغَيْرَتِهِ (عشرته)[٣].

وفي حديث آخر: (جِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ)[٤].

---

(١) البحار: ٧٩، ٨٧.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٢٤.

(٣) الكافي: ج ٥، ص ٩.

(٤) الكافي: ج ٥، ص ٥٠٧.

(ليس على العبيد جهاد ما استغنوا عنهم، ولا على النساء جهاد، ولا على من لم يبلغ الحلم)[١].

وعن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): كتب الله الجهاد على رجال أمتي، والغيرة على نساء أمتي، فمن صبر منهن واحتسب اعطاه الله أجر شهيد[٢].

وعن السيد علي بن طاووس في اللهوف مرسلاً: ورأيت حديثاً أن وهب هذا كان نصرانياً (إلى أن ذكر مقتله وخروج أمه في المعركة) قال فقال لها الحسين (عليه السلام): (ارجعي يا أم وهب، أنت وابنك مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإن الجهاد مرفوع من النساء)[٣].

وعن حفص بن غياث (في حديث) إنه سأل أبا عبد الله (عليه السلام) عن النساء كيف سقطت الجزية ورفعت عنهن، فقال: لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب إلا أن تقاتل وإن قاتلن فأمسك عنها ما أمكنك ولم تخف

---

(١) وسائل الشيعة: ج١١، ص٢٤.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٤، ص٢٣٧.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٢٥.

خللاً، فلما نهى عن قتلهن في دار الحرب كان ذلك في دار الإسلام أولى، ولو امتنعت تؤدي الجزية لم يمكن قتلها، فلما لم يمكن قتلها رفعت الجزية عنها، ولو امتنع الرجال أن يؤدوا الجزية كانوا ناقضين للعهد وحلّت دماؤهم وقتلهم، لأن قتل الرجال مباح في دار الشرك، وكذلك لا يقتل المقعد من أهل الشرك والذمة والأعمى والشيخ الفاني والمرأة والولدان في أرض الحرب، فمن أجل ذلك رفعت عنهم الجزية[1].

لا تجوز الحرب مع غير الإمام العادل أو نائبه.

عن يونس قال: سأل أبا الحسن (عليه السلام) رجل وأنا حاضر فقال له: جعلت فداك إن رجلاً من مواليك بلغه أن رجلاً يعطي سيفاً وفرساً في سبيل الله فأتاه فأخذهما منه، ثم لقيه أصحابه فأخبروه أن السبيل مع هؤلاء لا يجوز وأمروه بردّهما، قال (عليه السلام): فليفعل، قال: قد طلب الرجل فلم يجده وقيل له قد شخص الرجل، قال (عليه السلام): فليرابط ولا يقاتل، قلت: مثل قزوين وعسقلان والديلم وما أشبه هذه الثغور؟ قال (عليه السلام): نعم، قال: فإن جاء العدوّ إلى الموضع الذي هو فيه مرابط كيف يصنع؟ قال (عليه السلام): يقتال

---

(١) الكافي: ج١، ص٣٣٥.

عن بيضة الإسلام، قال: يجاهد؟ قال (عليه السلام): لا، إلا أن يخاف على ذراري المسلمين، قلت :أرأيتك لو أن الروم دخلوا على المسلمين لم ينبغ لهم أن يمنعوهم؟ قال (عليه السلام): يرابط ولا يقاتل، فإن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين قاتل فيكون قتاله لنفسه لا للسلطان لأن في دروس الإسلام دروس ذكر محمد (صلى الله عليه وآله)[١].

وعن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن رجل دخل أرض الحرب بأمان فغزا القوم الذين دخل عليهم قوم آخرون قال: على المسلم أن يمنع نفسه ويقاتل على حكم الله وحكم رسوله، وإما أن يقاتل الكفار على حكم الجور وسنتهم فلا يحل له ذلك[٢].

وعن أبي عميرة السلمي، قال سأل رجل أبا عبد الله (عليه السلام) فقال: إني كنتُ أكثر الغزو، وأبعد في الأجر، وأطيل في الغيبة، فحجر ذلك علي، فما ترى أصلحك الله؟

---

(١) الكافي: ج١، ص٣٣٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج٥، ص٣١.

فقال: إن شـــئتَ أن أجمل لك أجملت، وإن شـــئتَ أن ألخص لك لخصت.

فقال له: أجمل.

فقال: إن الله يحشر الناس على نياتهم. (إلى أن قال الراوي).

فقال الرجل: غزوت فوافقت المشـــركين، أفينبغي قتالهم قبل أن أدعوهم.

فقال :إن كان غزواً وقاتلوا فإنك تجزي بذلك، وإن كانوا أقواماً لم يغزوا ولم يقاتلوا، فلم يسعك قتالهم حتى تدعوهم.

قال الرجل: فدعوتهم فأجابني مجيب وأقرّ بالإ سلام في قلبه وكان في الإســـلام فجير عليه في الحكم وانتهكت حرمته وأخذ ماله واعتدى عليه فكيف بالمخرج وأنا دعوته؟

فقال: إنكما مأجوران على ما كان من ذلك وهو معك يحوطك من وراء حرمتك ويمنع قبلتك ويدفع عن كتابك ويحقن دمك، خير من أن

يكون عليك يهدم قبلتك وينتهك حرمتك ويسفك دمك ويحرق كتابك[١].

باب الدعوة إلى الإسلام أولا

عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) بعثني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى اليمن فقال: (يا علي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله لئن يهدي الله عز وجل على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي)[٢].

وعن دعائم الإسلام، عن علي (عليه السلام) أنه قال: (لا يغز قوم حتى يدعوا)[٣]

يعني إذا لم يكن بلغتهم الدعوة، وإن أكدت الحجة عليهم بالدعاء فحسن.

---

(١) الكافي: ج١، ص٣٣٢.

(٢) فروع الكافي: ص٣٣٥.

(٣) دعائم الإسلام: ج١، ص٣٧٠.

وعن الغوالي، عن النبي (صـــلّى الله عليه وآله) قال: (لا تقاتل الكفار إلا بعد الدعاء)[١].

وعن دعائم الإ سلام قال: روينا عن أبي عبد الله عن أبيه، عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان إذا بعث جيشاً أو سرية أوصى صاحبها بتقوى الله في خاصة نفسه، ومن معه من المسلمين خيراً، وقال: أغزوا بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رســول الله (صــلّى الله عليه وآله) ولا تقاتلوا القوم حتى تحتجوا عليهم بأن تدعوهم إلى شــهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رســول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، فإن أجابوكم فإخوانكم في ا لدين ادعوهم حينئذ إلى النقلة من ديارهم إلى دار المهاجرين (... إلى آخر الحديث)[٢].

---

(١) عوالي اللئالي: ج٢، ص٢٣٨، ح٣.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٣١.

الاقتصار على القدر الضروري

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثم يقول: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، لا تغلوا ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى أحد من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله، فإن تبعكم فأخوكم في الدين وإن أبى فأبلغوه مأمنه واستعينوا بالله)[1].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إن النبي (صلّى الله عليه وآله) كان إذا بعث أميراً على سرية أمره بتقوى الله عز وجل في خاصة نفسه، ثم في أصحابه عامة، ثم يقول: اغز بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا متبتلاً في شاهق، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً؛ لأنكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم ما يؤكل لحمه إلا ما لبد لكم من أكله، وإذا

---

(١) الكافي: ج٥، ص٢٧.

لقيتم عدواً للمســـلمين فادعوهم إلى إحدى ثلاث، فإن هم أجابوكم إليها فأقبلوا منهم وكفوا عنهم: ادعوهم إلى الإســـلام فإن دخلوا فيه فأقبلوا منهم وكفروا عنهم، وادعوهم إلى الهجرة بعد الإســـلام، فإن فعلوا فأقبلوا منهم وكفوا عنهم، وإن أبوا أن يهاجروا واختاروا ديارهم وأبوا أن يـدخلوا في دار الهجرة كـانوا بمنزلـة أعراب المؤمنين يجري عليهم ما يجري على أعراب المؤمنين، ولا يجري لهم في الفيء ولا في القسمة شيئاً إلا أن يهاجروا في سبيل الله، فإن أبوا هاتين فادعوهم إلى إعطاء الجزية عن يد وهم صـــاغرون، فإن أعطوا الجزية فاقبل منهم وكف عنهم، وإن أبوا فاســتعن بالله عز وجل عليهم وجاهدهم في الله حق جهاده، واذا حاصـــرت أهل حصـــن فأرادوك على أن ينزلوا على حكم الله عز وجل فلا تنزل بهم ولكن أنزلهم على حكمكم، ثم اقض فيهم بعد ما شـــئتم فإنكم إن أنزلتموهم على حكم الله لم تدروا تصيبوا حكم الله فيهم أم لا، وإذا حاصرتم أهل حصن فإن آذنوك على أن تنزلهم على ذمة الله وذمة رســـو له فلا تنزلهم ولكن أنزلهم على ذممكم وذمم آ بائكم وإخوانكم فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم آ بائكم

وإخوانكم كان أيســـر عليكم يوم القيامة من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله (صلّى الله عليه وآله)[١].

وعن أبي عبد الله، عن أبيه، عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان إذا بعث جيشاً أو سرية أوصى صاحبها بتقوى الله في خاصة نفسه ومن معه من المسلمين خيراً، وقال: اغزوا بســـم الله وفي ســـبيل الله (إلى أن قال): ولا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ـ يعني إن لم يقاتلوكم ـ ولا تمثلوا ولا تغلوا ولا تغدروا)[٢].

وعن الســـكوني، عن أبي عبد الله (عليه الســـلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه الســـلام): (نهى رســـول الله (صـــلّى الله عليه وآله) أن يلقى السم في بلاد المشركين)[٣].

---

(١) الكافي: ج٥، ص٢٧.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٣١، عن دعائم الإسلام.

(٣) الكافي: ج٥، ص٢٨، ووسائل الشيعة: ج١١، ص٤٦.

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه عن علي (عليه السلام): (إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نهى أن يلقى السم في بلاد المشركين)[١].

عن علي (عليه السلام) في حديث أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نصب المنجنيق على أهل الطائف وقال (صلّى الله عليه وآله): (إن كان معهم في الحصن قوم من المسلمين فأوقفوهم معهم ولا يتعمدهم بالرمي وارموا المشركين وانذروا المسلمين إن كانوا أقيموا مكرهين ونكبوا عنهم ما قدرتم وإلا فإن أصبتم منهم أحداً ففيه الدية)[٢].

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (لا تقتلوا في الحرب إلا من جرت عليه المواسي)[٣].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٤١.

(٢) وسائل الشيعة: ج١١، ص٢، نقلاً عن دعائم الدين.

(٣) مستدرك وسائل الشيعة: ج١١، ص٢، نقلاً عن الجعفريات.

وعن الدعائم، قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في وصيته: (لا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة)[١].

وفي الحديث: إن سعد بن معاذ حكم في بني قريضة بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم وأمر بكشف مؤتزهم، فمن أنبت فهو من المقاتلة ومن لم ينبت فهو من الذراري وصوبه النبي (صلّى الله عليه وآله)[٢].

---

(١) دعائم الإسلام: ج١، ص٣٦٩.

(٢) عوالي اللئالي: ج١، ص١٧.

لا حرب مع إعطاء الأمان أو الصلح

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: ما معنى قول النبي (صلّى الله عليه وآله): (يسعى بذمتهم أدناهم)[١].

قال (عليه السلام): (لو أن جيشاً من المسلمين حاصروا قوماً من المشركين فأشرف رجل فقال: أعطوني الأمان حتى ألقى صاحبكم وأناظره فأعطاهم أدناهم الأمان وجب على أفضلهم الوفاء به)[٢].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (لو أن قوماً حاصروا مدينة فسألوهم الأمان، فقالوا: لا، فظنوا أنهم قالوا: نعم، فنزلوا إليهم كانوا آمنين)[٣].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من ائتمن رجلاً على دمه ثم خان به فأنا من القاتل برئ، وإن كان المقتول في النار)[٤].

---

(١) الكافي: ج٥، ص٣٠.

(٢) الكافي: ج٥، ص٣١.

(٣) الكافي: ج٥، ص٣١.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٥، ص ٦٩.

وفي عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) للأشتر (رحمه الله تعالى): (لا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدو لله فيه رضى، فإن الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة وألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وادع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله سبحانه شيء للناس عليه أشد اجتماعاً مع تفريق أهوائهم وتشتيت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما أسبلوا عن عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك فإنه لا يجتري على الله إلا جاهل شقيّ وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته وحريماً يسكنون منعته ويستعيضون إلى جواره فلا إدخال ولا مدالسة ولا خداع فيه، ولا تعقد عقداً يجوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكد والتوثقة، ولا يدعوك ضيق أمر لزمه فيه عهد الله إلى انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على

ضيق ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وإن تحيط بك فيه من الله طلبته لا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك)[١].

وعن علي (عليه السلام)، أنه قال: خطب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في مسجد الخيف فقال: (رحم الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وبلغها إلى مَن ليسمعها، فرب حامل فقه وليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم، والمسلمون أخوة تكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، فإذا أمن من أحد من المسلمين أحداً من المشركين لم يجب أن يخفر ذمته)[٢].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (إذا أومأ أحد من المسلمين أو أشار بالأمان إلى أحد من المشركين فنزل على ذلك فهو في أمان)[٣].

---

(١) نهج البلاغة: كتاب ٥٣.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٤٥، ح١٢٣٩٠.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٤٥، ح١٢٣٩١.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام)، أنه قال: (الأمان جائز بأي لسان كان)[١].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (أوفوا بعهد من عاهدتم)[٢].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن قريتين من أهل الحرب لكل واحدة منهما ملك على حدة اقتتلوا ثم اصطلحوا، ثم إن أحد الملكين غدر بصاحبه فجاء إلى المسلمين فصالحهم على أن يغزوا تلك المدينة؟ فقال أبو عبد الله (عليه السلام): (لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا ولا يأمروا بالغدر ولا يقاتلوا مع الذين غدروا، ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم لا يجوز عليهم ما عاهد عليه الكفار)[٣].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٤٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٤٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٥، ص٦٩.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (يجيء كل غادر بإمام يوم القيامة مائلاً شدقه حتى يدخل النار)[١].

وعن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ذات يوم وهو يخطب على المنبر في الكوفة: (أيها الناس لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، إلا أن لكل غدرة فجرة ولكل فجرة كفرة، ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار)[٢].

وعن علي (عليه السلام) أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال فيما عهد إليه: (وإياك والغدر بعهد الله والإخفار لذمته، فإن الله جعل عهده وذمته أماناً أمضاه بين العباد برحمته، والصبر على ضيق ترجو انفراجه خير من غدر تخاف أوزاره وتبعاته وسوء عاقبته)[٣].

وفي حديث قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جنة أوفى منه، وما يغدر من علم كيف المرجع، ولقد أصبحنا

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥، ص٦٩.

(٢) الكافي: ج٢، ص٣٣٨.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٤٧.

في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، ما لهم؟ قاتلهم الله، قد يرى الحوّل القلب وجه الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين)[١].

وقال (عليه السلام): (الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر لأهل الغدر وفاء عند الله)[٢].

أقول أشار (عليه السلام) إلى قاعدة الأهم والمهم وليس معناها الغدر، بل معناها أن أمر الله أهم من الوفاء للغادر بأن يعتذر عن البقاء مع الغادر لأنه يريد الوقاية.

وعن النبي (صلّى الله عليه وآله) قال: (أربع من كن فيه فهو منافق إلى أن قال: وإذا عاهد غدر)[٣].

---

(١) نهج البلاغة: من خطبة ٤١.

(٢) نهج البلاغة: من الحكمة ٢٥٩.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٤٨.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (أسرع الأشياء عقوبة رجل عاهدته على أمر وكان من نيتك الوفاء به ومن نيته الغدر بك)[١].

وقف إطلاق النار في الأشهر الحرم

عن العلاء بن الفضيل قال: سألته عن المشركين أيبتدئهم المسلمون بالقتال في الشهر الحرام؟ فقال (عليه السلام): إذا كان المشركون يبتدئونهم باستحلاله، ثم رأى المسلمون أنهم يظهرون عليهم فيه وذلك قول الله عز وجل: (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص)[٢].

والروم في هذا بمنزلة المشركين؛ لأنهم لم يعرفوا للشهر الحرام حرمة ولا حقاً، فهم يبدؤون بالقتال فيه وكان المشركون يرون له حقاً وحرمة فاستحلوه فاستحل منهم أهل البغي يبتدؤون بالقتال)[٣].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٣٨.

(٢) سورة البقرة: ١٩٤.

(٣) الكافي: ج١، ص٣٣٥.

وعن علي بن إبراهيم في تفسيره: (الأشهر الحرم رجب مفرد وذو القعدة وذو الحجة ومحرم متصلة، حرم الله فيها القتال ويضاعف فيها الذنوب وكذلك الحسنات)[١].

الأسير لا يقتل

أولت الشريعة الإسلامية من خلال بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة عن المعصومين (عليهم السلام) أولت الأسير اهتماماً كبيراً، ورسمت بعض الحقوق الواجبة له، وما يترتب عليه من حقوق وواجبات. ومن أراد الاطلاع على ذلك فعليه مراجعة ما كتبه فقهاء الإمامية بالخصوص في هذا الموضوع، وكيفية معاملته، ومتى يطلق سراحه ومتى يقتص منه وما له وما عليه. وأما ما نحن في الآن وقد تكالب علينا أعداء الدين وأعداء الإسلام وأعداء الإنسانية وما تفعله الحركة الظالمة المسماة بداعش، فإن أسيرهم الذي لا يمكن إصلاحه وإرجاعه إلى المجتمع عنصراً فاعلاً يحب الخير ويحترم الإنسانية ويقدس الدماء البريئة ولا يمكن الاستفادة منه في أي موضع بل يكون

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٤٨.

وجوده خطراً على المجتمع بأســـره، فيعاقب وحســـب ما تراه القوانين والدساتير العالمية ويجوز تصفيته جسدياً وإنقاذ المجتمع من شروره.

ولذلك فقد ورد عن الزهري، عن علي بن الحسين (عليه السلام) (في حديث) قال: (إذا أخذت أســيراً فعجز عن المشــي ولم يكن معك محمل فأرســـله ولا تقتله، فإنك لا تدري ما حكم الإمام فيه)، وقال: (الأسير إذا أسلم فقد حقن دمه وصار فيئاً)[1].

وعن عبد الله بن ميمون قال: أتى علي (عليه الســلام) بأســير يوم صفين فبايعه فقال علي (عليه السلام): (لا أقتلك إني أخاف الله رب العالمين) فخلى سبيله وأعطاه سلبه الذي جاء به[2].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (أسَّر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم بدر أســـارى وأخذ الفداء منهم، فالإمام مخير إذا

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥، ص٧٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج١١، ص٤٥.

أظفره الله بالمشـــركين بين أن يقتل المقاتلة أو يأســـرهم ويجعلهم في الغنائم ويضرب عليهم السهام، ومن رأى المنّ عليه منهم منّ عليه)[١].

وعن بشـــير، عن أبي عبد الله (عليه الســـلام) قال: قلت له: إني رأيت في المنام أني قلت لك: إن القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير فقلت لي: نعم هو كذلك.

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): (هو كذلك هو كذلك)[٢].

وعن سماعة، عن أبي عبد الله (عليه الســـلام) قال: (لقي عباد البصـري علي بن الحسـين (عليه السـلام) في طريق مكة، فقال له: يا علي بن الحسـين تركت الجهاد وصـعوبته وأقبلت على الحج ولينه، إن الله عز وجل يقول: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله﴾[٣].

فقال علي بن الحسين (عليه السلام): (أتمّ الآية).

---

(١) دعائم الإسلام: ج١، ص٣٧٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٥، ص٤٥.

(٣) سورة التوبة: ١١١.

فقال: (التائبون العابدون)[١].

فقال علي بن الحسين (عليه السلام): إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج[٢].

وعن محمد بن عبد الله السمندري قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): (إني أكون بالباب، يعني باب الأبواب، فينادون السلاح فأخرج معهم؟

فقال لي: أرأيتك إن خرجت فأسرت رجلاً فأعطيته الأمان وجعلت له من العقد ما جعله رسول الله (صلّى الله عليه وآله) للمشركين أكان يفون لك به؟ قال:

قلت: لا والله جعلت فداك ما كانوا يفون لي به.

قال (عليه السلام): فلا تخرج[٣].

---

(١) سورة التوبة: ١١٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٥، ص٤٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٥، ص٤٨.

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله، عن آبائه (عليهم السلام) قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم ولا ينفذ في الفيء أمر الله عز وجل، فإنه إن مات في ذلك المكان كان معيناً لعدونا في حبس حقنا، والإشاطة بدمائنا، وميتته ميتة جاهلية)[١].

وعن جعفر بن محمد (عليه السلام) في حديث شرائع الدين قال: (والجهاد واجب مع إمام عادل، ومن قتل دون ماله فهو شهيد)[٢].

وعن بشارة المصطفى، عن كميل، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (يا كميل لا غزو إلا مع إمام عادل)[٣].

وعن السيد علي بن طاووس في كتاب كشف اليقين، بسنده إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في خبر المعراج: إن الله سبحانه وتعالى

---

(١) الخصال: حديث الأربعمائة ٦٢٥.

(٢) الخصال: ص٦٠٧.

(٣) بشارة المصطفى: ج١، ص٥٧.

أوحى إليه (صلّى الله عليه وآله): (... والمشي على الأقدام إلى الجهاد معك ومع الأئمة من ولدك...)[١].

وعن الشعبي قال: (لما أسر علي (عليه السلام) الأسرى يوم صفين فخلى سبيلهم أتوا معاوية وقد كان عمرو بن العاص يقول ـ لأسرى أسرهم معاوية ـ: اقتلهم، فما شعروا إلا بأسراهم قد خلى سبيلهم علي (عليه السلام)، فقال معاوية: يا عمرو لو أطعناك في هؤلاء الأسرى لوقعنا في قبيح من الأمر ألا ترى قد خلى سبيل أسرانا، فأمر بتخلية من في يديه من أسرى علي (عليه السلام)، وقد كان علي (عليه السلام) إذا أخذ أسيراً من أهل الشام خلى سبيله إلا أن يكون قد قتل من أصحابه أحداً فيقتله به، فإذا خلى سبيله فإن عاد الثانية قتله ولم يخل سبيله ـ الخبر[٢].

أقول: (قتله) في حالات الضرورة لأن الإمام كان يخلي سبيل.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٣٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٧، ص٣٩.

لا يقتل من أخرج كرها

عن دعائم الإسلام، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) - يوم بدر -: (من استطعتم أن تأسروا من بني عبد المطلب فلا تقتلوهم فإنهم إنما أخرجوا كرهاً)[١].

مزيد من السماح مع غير ذي الفئة

عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الطائفتين من المؤمنين إحداهما باغية والأخرى عادلة فهزمت الباغية العادلة؟ قال: (ليس لأهل العدل أن يتبعوا مدبراً ولا يقتلوا أ سيراً ولا يجهزوا على جريح..)[٢].

وفي حديث أبي حمزة، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: (إن علياً (عليه السلام) كتب إلى مالك وهو على مقدمته في يوم البصرة

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٢.

(٢) الكافي: ج٥، ص٣٣.

بأن لا يطعن في غير مقبل، ولا يقتل مدبراً، ولا يجهز على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن..)[١].

وعن عبد الله بن شـــريك، عن أبيه قال: لما هزم الناس يوم الجمل قال أمير المؤمنين (عليه الســـلام): (لا تتبعوا مولياً ولا تجهزوا على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن)[٢].

وعن حســـن بن علي بن شـــعبة، عن أبي الحســـن الثالث (عليه الســـلام): (... وإنه يوم الجمل لم يتبع مولياً ولم يجهز على جريح، ومن ألقى سلاحه أمنه، ومن دخل داره أمنه)[٣].

وفي رواية: (إذا انهزم أهل البغي وكانت له فئة يلجؤون إليها طلبوا وأجهز على جرحاهم واتبعوا وقتل ما أمكن اتباعهم وقتلهم، وكذلك ســار أمير المؤمنين (عليه الســلام) في أصــحاب صــفين، لأن

---

(١) الكافي: ج٥، ص٣٣.

(٢) الكافي: ج٥، ص٣٣.

(٣) بحار الأنوار: ج١٠، ص٣٩٠.

معاوية كان وراءهم، وإذا لم يكن له فئة لم يطلبوا ولم يجهز على جرحاهم لأنهم إذا ولّوا تفرقوا.

وكذلك روينا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه سار في أهل الجمل لما قتل طلحة والزبير وقبض على عائشة وانهزم أصحاب الجمل نادى مناديه: (لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً، ومن ألقى سلاحه فهو آمن)، ثم دعا ببغلة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الشهباء فركبها، ثم قال: تعال يا فلان وتعال يا فلان حتى جمع إليه زهاء ستين شيخاً كلهم من همدان قد شكوا الأترسة وتقلدوا السيوف ولبسوا المغافر فسار وهم حوله حتى انتهى إلى دار عظيمة فاستفتح ففتح له، فإذا هو بنساء يبكين بفناء الدار فلما نظرن إليه صحن صيحة واحدة وقلن: (هذا قاتل الأحبة) فلم يقل لهن شيئاً، و سأل عن حجرة عائشة ففتح له بابها ودخل وسمع بينهما كلام شبيه بالمعاذير (لا والله) و(بلى والله) ثم إنه (عليه السلام) خرج فنظر إلى امرأة فقال لها: (إليّ يا صفية) فأتته مسرعة فقال: ألا تبعدين هؤلاء يزعمن إني قاتل الأحبة لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذه الحجرة ومن في هذه، ومن في هذه) وأومأ (عليه السلام) إلى ثلاث حجر فذهبت إليهن فما بقيت في الدار صائحة إلا سكنت ولا قائمة إلا قعدت. قال الأصبغ ـــ وهو صاحب الحديث ـــ (وكان في إحدى الحجرات عائشة ومن معها من

خاصتها، وفي الأخرى مروان بن الحكم وشباب من قريش، وفي الأخرى عبد الله بن الزبير وأهله)، فقيل للأصبغ: فهلا بسطتم أيديكم على هؤلاء، أليس هؤلاء كانوا أصحاب القرحة فلم استبقيتموهم؟ قال: ضربنا بأيدينا إلى قوائم سيوفنا وحددنا أبصارنا نحوه لكي يأمرنا فيهم بأمر فما فعل وأوسعهم عفواً)[1].

وقال الشيخ المفيد في كتاب (الكافئة في إبطال توبة الخاطئة) عن أبي مخنف لوط بن يحيى، عن عبد الله بن عاصم، عن محمد بن بشير الهمداني قال: (ورد كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) مع عمر بن سلمة الأوحى إلى أهل الكوفة فكبر الناس تكبيرة سمعها عامة الناس، واجتمعوا لها في المسجد ونودي الصلاة جامعة فلم يتخلف أحد وقرأ الكتاب، فكان فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين إلى قرظة بن كعب ومن قبله من المسلمين سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنا لقينا القوم الناكثين ـــ إلى أن قال (عليه السلام) ـــ فلما هزمهم الله أمرت أن لا يتبع مدبر، ولا

---

(١) دعائم الإسلام: ج١، ص٣٩٤.

يجهز على جريح ولا يكشف عورة، ولا يهتك ستر ولا يدخل دار إلا بإذن وآمنت الناس)[١].

وعن حبة العرني قال في حديث: فلما كان يوم الجمل وبرز الناس بعضهم لبعض (إلى أن قال): فولى الناس منهزمين فنادى منادي أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً ومن أغلق بابه فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن)[٢].

وعن محمد بن الفضيل بن عطا مولى مزينة قال: حدثني جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن أبيه (عليه السلام)، عن محمد بن علي (عليه السلام) ابن الحنفية قال: كان اللواء معي يوم الجمل (إلى أن قال) ثم أمر مناديه فنادى: (لا يدفعن على جريح ولا يتبع مدبر، ومن أغلق بابه فهو آمن)[٣].

وروي أنه كان من أهل الشام بصفين رجل يقال له: الأصبغ بن ضرار وكان يكوّن طليعة مسلحة فندب له علي (عليه السلام) الأشتر

---

(١) الكافئة في إبطال توبة الخاطئة عن أبي مخنف لوط بن يحيى: ص١٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٥٣.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٥٣.

فأخذه أسيراً، من غير أن يقاتل، وكان علي (عليه السلام) ينهى عن قتل الأسير الكاف فجاء به ليلاً وشد وثاقه وألقاه مع أضيافه ينتظر به الصباح، وكان الأصبغ شاعراً مفوهاً فأيقن بالقتل ونام أصحابه فرفع صوته وأسمع الأشتر أبياتاً يذكر فيها حاله ويستعطفه فغدا به الأشتر على علي (عليه السلام)، فقال: يا أمير المؤمنين هذا رجل من المسلحة لقيته بالأمس، والله لو علمت أن قتله الحق، قتلته، وقد بات عندنا الليلة وحركنا، فإن كان فيه القتل فأقتله، وإن غضبنا فيه وإن كنت فيه بالخيار فهبه لنا، قال: (هو لك يا مالك، فإذا أصبت أسير أهل القبلة فلا تقتله، فإن أسير أهل القبلة لا يفادى ولا يقتل). فرجع به الأشتر إلى منزله وقال: لك ما أخذنا معك، وليس لك عندنا غيره[1].

وعن سلام قال: شهدت يوم الجمل (إلى أن قال): ولما انهزم أهل البصرة نادى منادي علي (عليه السلام): (لا تتبعوا مدبراً، ولا من ألقى سلاحه، ولا تجهزوا على جريح، فإن القوم قد ولوا وليس لهم فئة يلجؤون إليها جرت السنة بذلك في قتال أهل البغي)[2].

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٢، ص٥٢٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٥٥.

وعن دعائم الاسلام، عن علي (عليه السلام)، أنه سأله عمار حين دخل البصـــرة، فقال: يا أمير المؤمنين بأي شـــيء تســـير في هؤلاء؟ قال (عليه السلام): (بالمنّ والعفو كما سار النبي (صلّى الله عليه وآله) في أهل مكة)[1].

وعن موسى بن طلحة بن عبيد الله ـــ وكان فيمن أسر يوم الجمل وحبس مع من حبس من الأسارى بالبصرة ـ فقال كنت في سجن علي (عليه السلام) بالبصرة حتى سمعت المنادي ينادي أين موسى بن طلحة بن عبيد الله؟

قال: فاسترجعت واسترجع أهل السجن وقالوا يقتلك.

فأخرجني إليه فلما وقفت بين يديه قال لي: يا موسى.

قلت: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: قل استغفر الله.

قلت: استغفر الله وأتوب إليه ثلاث مرات.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٥٧.

فقال لمن كان معي من رسله: خلّوا عنه وقال لي: اذهب حيث شئت وما وجدت لك في عسكرنا من سلاح أو كراع فخذه واتق الله فيما تستقبله من أمرك واجلس في بيتك.

فشكرت وانصرفت، وكان علي (عليه السلام) قد أغنم أصحابه ما أجلب به أهل البصرة إلى قتاله (أجلبوا به، يعني أتوا به في عسكرهم) ولم يعرض لشيء غير ذلك ـ الحديث ـ[1].

وعن مسعد بن زياد، بسنده عن جعفر، عن أبيه (عليه السلام): (إن علياً (عليه السلام) لم يكن ينسب أحداً من أهل حربه إلى الشرك، ولا إلى النفاق ولكنه كان يقول: هم إخواننا بغوا علينا)[2].

---

(١) شرح الأخبار: ج١، ص٣٨٩، ح٣٣١.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٥، ص٨٣.

إتمام الحجة على العدو، وعدم البدء بالهجوم

روى العياشي بسنده إلى أبي عبد الله (عليه السلام): إن علياً (عليه السلام) قال لأصحابه يوم البصرة: (لا تعجلوا على القوم حتى أعذر فيما بيني وبين الله تعالى وبينهم) فقام إليهم فقال لأهل البصرة: هل تجدون عليّ جوراً في الحكم؟ قالوا: لا[1].

وعن دعائم الإسلام، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، أنه خطب بالكوفة فقام رجل من الخوارج فقال: لا حكم إلا لله، فسكت أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم قام آخر وآخر، فلما أكثروا قال: (كلمة حق يراد بها باطل لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم مساجد الله أن تصلوا فيها ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدؤكم بحرب حتى تبدؤونا)[2].

وعن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يأمر في كل موطن لقينا فيه عدونا فيقول: (لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٨٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٥٦.

يبدؤوكم حجة أخرى لكم، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل)[١].

قال الكليني: وفي كلام آخر له (عليه السلام): (وإذا لقيتم هؤلاء القوم غداً فلا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم، فإن بدؤوكم فانهدوا إليهم)[٢].

وروى الشيخ المفيد في الإرشاد في سياق مقتل أبي عبد الله (عليه السلام) ووصوله إلى نينوى وممانعة الحر قال: فقال له زهير بن القين: إني والله لا أرى أن يكون بعد الذين ترون إلا أشد مما ترون يا بن رسول الله إن قتال هؤلاء القوم الساعة أهون من قتال من يأتينا من بعدهم، ولعمري ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به.

فقال الحسين (عليه السلام): (ما كنت لأبدأهم بالقتال) ثم نزل (وساق الحديث إلى أن ذكر قصة يوم عاشوراء) قال: فنادى شمر بن ذي

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٨٦.

(٢) الكافي: ج٥، ص٤١.

الجوشـــن لعنه الله بأعلى صـــوته: يا حســـين أتعجلت بالنار قبل يوم القيامة؟

فقال الحسين (عليه السلام): (من هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن).

فقالوا: نعم.

فقال: يا بن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً.

ورام مســـلم بن عوســـجة أن يرميه بســـهم فمنعه الحســـين (عليه السلام) من ذلك، فقال له: دعني حتى أرميه، فإن الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبارين وقد أمكن الله منه.

فقال له الحســـين (عليه الســـلام): (لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم بالقتال)[1].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٨٠.

عدم التعرّض للنساء

روى الكافي في حديث مالك بن أعين، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، أنه قال في جملة ما قال: (ولا تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ناقصات القوى والأنفس والعقول، وقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة فيعيّر بها وعقبه من بعده)[1].

عدم قتل الرسل

روى عبد الله بن جعفر الحميري في قرب الإسناد، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن أبيه (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) :(لا يقتل الرسل)[2].

وعن دعائم الاسلام، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، أنه قال: (إذا ظفرتم برجل من أهل الحرب فزعم أنه رسول إليكم، فإن عرف ذلك

---

(١) الكافي: ج٥، ص٣٩، ح٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٥، ص١١٧.

وجاء بما يدل عليه فلا سبيل لكم عليه حتى يبلغ رسالته ويرجع إلى أصحابه، وإن لم تجدوا على قوله دليلاً فلا تقبلوا منه).

تحريم القتال على غير سنة

عن زيد بن علي عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (إذا التقى المسلمان بسيفهما على غير سنّة فالقاتل والمقتول في النار.

قيل يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟

قال: لأنه أراد قتالاً).

وعن دعائم الإسلام، عن علي (عليه السلام) إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال فيما عهد إليه: (وإياك والتسرع إلى سفك الدماء لغير حلها، فإنه ليس شيء أعظم من ذلك تباعة).

لا حرب للجبناء

روي الجعفريان، بسنده إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنه قال: (من أحس من نفسه جبناً فلا يغز).

عدم قتل الذميّ

روى جعفر بن أحمد القمي عن المطلب أن النبي (صلّى الله عليه وآله) قال: (من قتل رجلاً من أهل الذمة حرم الله عليه الجنة التي توجد ريحها مسيرة اثني عشر عاماً).

احترام كرماء الكفار

عن محمد بن جرير الطبري قال: لما ورد سبي الفرس إلى المدينة أراد عمر بن الخطاب بيع النساء، وأن يجعل الرجال عبيداً، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: أكرموا كريم كل قوم.

فقال عمر: قد سمعته يقول: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وإن خالفكم.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): هؤلاء قوم قد ألقوا إليكم السلم ورغبوا في الإسلام، ولابد من أن يكون فيهم ذرية، وأنا أشهد الله وأشهدكم إني قد أعتقت نصيبي منهم لوجه الله.

فقال المهاجرون والأنصـــار: وقد هبنا حقنا لك يا أخا رســـول الله (صلّى الله عليه وآله).

فقال: اللهم إني أشــهد أنهم قد وهبوا إلى حقهم وقبلته وأشــهدك إني أعتقتهم لوجهك.

فقال عمر: لِمَ نقضـــت عليّ عزمي في الأعاجم، وما الذي رغبك عن رأيي فيهم؟

فأعاد عليه ما قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في إكرام الكرماء.

فقال عمر: قد وهبت لله ولك يا أبا الحســن ما يخصــني وســاير ما لم يوهب لك.

فقال أمير المؤمنين (عليه الســلام): اللهم إني أشــهد ما قاله وعلى عنقي إياهم.

فرغب جماعة من قريش أن يســتنكحوا النســاء، فقال أمير المؤمنين (عليه الســـلام): هؤلاء لا يكرهن على ذلك ولكن يخيرن ما اخترنه عمل به.. الخبر

استحباب عدم أخذ السلب

روى علي بن أسباط، عن ابن فضال، عن الصادق (عليه السلام)، عن أبيه (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام): (إن علياً (عليه السلام) كان يباشر القتال بنفسه وكان لا يأخذ السلب).

عدم قتل الأطفال

كما يدل على ذلك الأخبار المتقدمة ومنها الواردة في تصديق رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حكم سعد، حيث أمر أن لا يقتل من لم يبلغ الحلم من رجال اليهود.

عدم قطع الأشجار، وعدم قطع الماء

روي عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، أنه نهى عن قطع الشجر المثمر أو إحراقه ـــ يعني في دار الحرب وغيرها ـــ إلا أن يكون ذلك من صلاح المسلمين، فقد قال الله عز وجل: (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين) [1].

---

(١) سورة الحشر: الآية ٥.

كما أنه ورد: إن ر سول الله لما أراد غزو خيبر دلّه بعض اليهود على ماء كان يجري لهم، وقال له: إن قطعت الماء عنهم اســـتســـلموا، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لا أفعل ذلك فلم يقطع الماء عنهم.

كما أن علياً (عليه السلام) لم يقطع الماء عن أصحاب معاوية.

الباب الثالث: بيانات في الشهادة والشهيد

البيان الأول: في قيمة الشهادة في سبيل الله.

البيان الثاني: الشهيد قدوة لنا.

البيان الثالث: أثر دم الشهيد في حركة الأمة.

البيان الرابع: في دم الشهيد الوعي والعطاء.

البيان الخامس: ما هي الحكمة من عدم تغسيل الشهيد وتكفينه؟

البيان الأول: في قيمة الشهادة في سبيل الله

إن الشهادة تعلمنا كيف ينتصر المظلوم من الظالم، وكيف يستعيد المظلوم حقه ومكانه في التاريخ، وكيف ينتصر المستضعفون من المستكبرين ويستعيدون مواقعهم في الحياة، وكيف ينتصر الدم على السيف والحق على الباطل، وكيف يرزق الله القلة المستضعفة التي تخاف أن يتخطفها الناس على الكثرة القوية من المستكبرين وأضرابهم وجنودهم.

إن الشهادة تعلمنا كيف نعيش أحراراً، وكيف نتحرر من القيود والأغلال، وكيف نسترجع كرامتنا وحريتنا ومواقعنا ومراكزنا على وجه الأرض، وكيف نتحوّل من عبودية الطغاة والمستكبرين إلى عبودية الله رب العالمين.

فالشهادة عقيدة وإيمان وحب وعطاء وتضحية وإيثار في سبيل الله وإخلاص وإقدام وشجاعة وحياة جديدة، وحاشا أن تكون الشهادة عقيمة، أو تكون موتاً كما يفهم سواد الناس.

وقد عبّر القران الكريم: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

إذن من خلال هذه الآيات نفهم أن هناك حياة أخرى يحظى بها الشهداء وهي إن الذين يقتلون في سبيل الله أحياء وليسوا أمواتاً، وهذا الذي يدعوا إليه تعالى ورسوله من الحياة شيء آخر غير ما يتنافس عليه الناس من اللهو واللعب والتفاخر والزينة، وكل ما يبعد العبد عن الله من المعاصي والذنوب والاستغراق في متاع الحياة الدنيا والتعلق بها والتكاثر في الأموال والأولاد وجمع حطام الدنيا الفانية من الذهب والفضة والقصور ونحوها ﴿ويأكلون التراث أكلاً لّمّا﴾، (حب الدنيا رأس كل خطيئة)[2].

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٦٩ ــ ١٧٥.

(٢) بحار الأنوار: ج١ / ٢٥٨.

نعم إن غاية الإنسان فيما يحققه في الحياة الدنيا هو القرب من الله تعالى وهو المقياس الذي يميز بين القريب من الله والبعيد عنه، وأقرب إنسان إلى الله تعالى هو الشهيد.

وقد ورد في الحديث الشريف عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): (فوق كل برٍ بر حتى يقتل الرجل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله عز وجل فليس فوقه بر...)[1]. إنما ينال الشهيد هذه الدرجة من القرب الإلهي، لأنه سلك الطريق الصحيح الذي هو أقرب طريق إلى الله عز وجل.

يقول الإمام علي (عليه السلام): (إن لله عباداً في الارض كأنما رأوا أهل الجنة في جنتهم وأهل النار في نارهم: اليقين وأنواره لامعة على وجوههم. قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أياماً قليلة لراحة طويلة، أما الليل فصافّون أقدامهم، تجرى دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى الله سبحانه بأدعيتهم، قد حلا في أفواههم، وحلا في قلوبهم طعم مناجاته ولذيذ الخلوة به، قد

---

(١) بحار الأنوار: ج١٠٠/ ١٠.

أقسم الله على نفسه بجلال عزته ليورثنهم المقام الأعلى في مقعد صدق عنده)[1].

ومن الذي يستحق أن ينال الثواب من الله تعالى عز وجل والقرب والدنو منه غير المصداق الأكمل وهو الشهيد، إنما ينعم في جوار ربه بما أعدّ الله للصالحين من عباده من فضل ورحمة في الجنة.

إذن الشهيد يسعد في حياة أخرى غير الحياة الدنيوية، وهي التي يتمناها الكثير من المؤمنين، لأن الكثير من الناس ينظرون إلى الشهيد جثة هامدة فيتصورون إنه ميت وليس هو بميت، بل هو في حياة البرزخية التي يحياها الشهداء والصالحون من عباد الله في الجنة وينعمون فيها برحمة الله.

بل فرحين بما آتاهم الله من فضله، إنه يستقبل الرحمة الإلهية الواسعة بل يرى الشهيد ما أعدّ الله له قبل أن تفارق الروح جسده، وقبل أن يلفظ آخر أنفاسه.

---

(١) تغير البصائر: ج٤٢، ص ٣٩١.

روى عن زيد بن علي عن آبائه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه واله): (للشهيد سبع خصال من الله: أول قطرة من دمه مغفور له كل ذنب.

والثانية يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين، ويمسحان الغبار عن وجهه يقولان: مرحبا بك، ويقول هو مثل ذلك لهما.

والثالثة يكسى من كسوة الجنة.

والرابعة يبتدره خزنة الجنة بكل ريح طيبة له يأخذ منه.

والخامسة أن يرى منزلته.

والسادسة يقال لروحه: أسرح في الجنة حيث شئت.

والسابعة أن ينظر في وجه الله وأنها لراحة لكل نبي وشهيد.[1]

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٦، ص ١٢٢.

البيان الثاني: الشهيد قدوة

إنّ حضـــور القدوة الصـــالحة على أرض المعركة ينفع العاملين في أمرَين، يأخذون منهم صبرهم وجهادهم وعطائهم، وتَرَفُّعهم عن الدنيا من جانب، ومن جانب آخَر يشهدون إمداد الله تعالى لهم، وتمكينهم من المُجابَهة، وتثبيتهم على أرض المعركة، ويشهدون مَعِيَّة الله تعالى لهم.

وهذه الإيحاءات الرســاليّة التي تُعطيها حياة القدوات الصـــالحة، لا تتأتّى دائماً من الدرس والتعليم

إنّ (القدوة الصــالحة) تُوَطِّئ طريق ذات الشــوكة الطويل للعاملين والســائرين، فعلى رأس كلِّ مُنعطَف وعند كلّ صــعود وهبوط، وعند ملتقى كلّ طريق تجد الآ ثار الواضـــحة والنفحات الإيمانية لهؤلاء الصفوة.

وفي كلّ غَمْرَةٍ من غَمَراتِ السَير والحركة، وعندما تَهبّ العواصف العاتية في وجوه العاملين، وكلّما يتغلَّب اليأس والتعب والخوف على نفوس المؤمنين الـ سائرين، يلتقي العاملون الـ سائرون على طريق ذات الشوكة بهذه القدوات الربّانيَّة، ليستلهموا منهم العنفوان والصمود والمصابرة على المواجهة.

يلتقون بأنبياء الله (عليهم السلام)، إبراهيم ويحيى وعيسى وموسى وأيّوب وهود وصـــالح ونوح وزكريّا، فيطمئنّون إلى مَعيِّة الله تعالى، وإمداده لهم في وَحشـــَة الطريق والتباس الأُمور، وظروف الإرهاب والمُلاحَقة والمُطارَدة.

يَطمئنُّون إلى مَعيـّة الله وإمـداده، من خلال حركـة وعمـل هؤلاء الربّانيّين الســـائرين على الدرب الطويل، باطمئنان وثِقَة، وصـــدور مُنشرِحة.

يقول الله سبحانه وتعالى لنبيِّه (صلّى الله عليه وآله)، وهو يريد أن يُثبِّت قَدَمه على أرض المعركة: ﴿أُولئِكَ الّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنّبُوّةَ فَإِن يَكْفُرْ بها هؤُلاَءِ فَقَدْ وَكّلْنَا بها قَوْماً لَيْســـُوا بها بِكَافِرِينَ * أُولئِكَ الّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1].

و(الشـــهيد) قدوة صـــالحة في طريق العامِلين، وهذه الكلمة على وَجازَتها، تُشكِّل كلّ قِيمة الشهيد في حركة التاريخ وتحريك الأُمّة. فهو

---

(١) سورة الأنعام: آية ٨٩ ــ ٩٠.

مناراً يهتدي به كل من طلب الإصـــلاح لمواجهة فراعنة عصـــره من المتكبرين والطغاة.

والقيمة الحركيّة للشهيد تعود إلى هذه الحقيقة بالذات، فإنّ الشهيد عندما يتحوّل إلى (قدوة) للعمل الصـالح وللعطاء والتضـحية في حياة الناس، يستطيع أن ينقل هذه القِيَم من جيل إلى جيل.

وهذه خاصّة من خصائص (القدوة) في الحياة الاجتماعيّة، أنّه يُسهِّل ويُســرِّع عمليّة نقل القِيَم الحضـــاريّة من جيل إلى جيل، ويُعمِّق هذه القِيَم في حياة الناس. بل ينتقل بهم من حيز التصـــور إلى واقع التصديق.

وهذه القِيَم كلّما انتقلت من جيل إلى جيل اتَّســـعت دائرتها من الناحية الكمِّية، وتعمَّقت وترسَّخت في النفوس من الناحية الكيفيّة.

وهذه الحقيقة تتضح بشكل دقيق في أصل التضحية والعطاء، فقد يتصوّر بعض الناس إنّ الشهادة تُفقِد الأُمّة النُخبة الصالحة من أبنائها، وما تحمل هذه النُخبَة من قِيَمٍ ومزايا إيمانيّة وأخلاقيّة وجهاديّة.

والأمر على العكس تماماً، فإنّ الشهادة لا تُعتبَر خسارة مهما كانت قِيمة الشـــهيد وحجم الشـــهداء وعددهم، بل هي رِبْح ونموّ وبركة في حياة الأُمّة، وحتّى في الحسابات الماديّة.

البيان الثالث: أثر دم الشهيد في حركة الأمة

إن دماء الشـــهداء تهب الأحياء عزماً على الاســتمرار، ومواصـــلة الحركة والسير نحو الهدف المنشود، وقوة على تجاوز العقبات والصعاب، وتهبهم القدرة على نكران الذات، وتجاوز النفس، والترفع عن صغائر الأمور، وانتزاع حب الدنيا من النفوس، وإيثار الآخرة على الدنيا، واسترخاص الحياة الدنيا في سبيل مرضاة الله.

إن دماء الشـــهداء تعلم الأحياء الكثير، ومن أغرب ما في هذه المدرسة العجيبة في حياة الإنسان: أن تلاميذها أحياء وأساتذتها أموات، ولكن لا كما يتصـــور الناسُ الأمواتَ، وإنما كما يقول ربنا ســـبحانه: ﴿... أحياء عند ربهم يرزقون﴾[1].

إن كل شهيد يربّي أجيالاً من العاملين المخلصين لله، وكل قطرة من دم الشـــهيد تتحول إلى مشـــاريع جهادية تتفجر براكين من المقاومة والثورة والتمرّد على الظالمين. وللدم دور كبير في تحريك الضـــمائر

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

الخاملة، ولا تهتز الضـــمائر الميتة والخاملة لأمر كما تهتز للتضـــحية والدم.

إن التضحية توقظ العقول، وتنبه الضمائر، وتحرك النفوس، وتهز الإنســـان من الأعماق، وتبعث فيهم الحياة، وتفتح مغاليق القلوب؛ وتشرح الصدور، وتفجر كل الطاقات الخيرة الكامنة في نفس الإنسان، وتقتلع الإنسان من مستنقع الحياة الراكد، وتدفعه إلى قمم الحياة العليا، وتمزق حجب التعلق بالدنيا من عينيه، وسمعه، وفؤاده، ليفتح أمامه آفاق الحياة الواســـعة والتي تمتد إلى مرضـــاة الله إلا أن التعلق بالحياة الدنيا، وأعراضـــها القريبة، ومتاعها يحجبه عن تلك الأهداف والغايات العليا فتحبســـه الحياة الدنيا وتعلقاتها وتثقله، كما تثقل الجاذبية الأشـــياء، فتعيق تحركه وصـــعوده؛ والتعبير القرآني بهذا الصـــدد دقيق: ﴿... ما لكم إذا قيل لكم انفروا في ســـبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضـــيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾[١].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٨.

وكأن التعلّق بالحياة الدنيا يثقل الإنسان، ويجره إلى الأسفل (الأرض)، ويعيق تحليقه إلى الله تعالى.

ولكي يحلّق الإنسان ويرتفع لا يحتاج كثيراً إلى زخم أو دفع، وانما يحتاج إلى من يمزق عنه هذه الحجب التي تحجبه عن الآخرة، ويحرره، ويكسر عن يديه ورجليه هذه الأغلال التي تعيق تحركه، فيفتح عليه آفاق الآخرة، ويطلق يديه ورجليه للتحرك.

ودم الشهيد له هذا الدور الكبير في حياة الناس. إن دم الشهيد يزيل الخوف عن القلوب الضعيفة، ويقضي على رهبة الموت، ويعطي للموت معني الانتقال إلى لقاء الله تعالى، ويهبه نكهة لقائه.

إن دم الشهيد يرفع من قيمة الموت إلى قمة لقاء الله تعالى، ويضع من قيمة الحياة الدنيا حتى لا تعد تستهوي أحداً من المؤمنين، إلا بقدر ما يكون متجراً للآخرة وطريقاً إليها.

فدم الشهيد إذن يبعث الحياة والتحرك من جديد في المجتمع، ويمنح النور، والرؤية، والبصيرة للقلوب التي تبلدت في الحياة الدنيا. ويمنح الإنسان الرؤية والهدف والتحرك في مساحة واسعة من المجتمع ويخلق من الأجواء الباردة والبليدة أجواء حركة وثورية.

ولذلك لا تجد في دم الشهيد خسارة إطلاقاً، حتى بالمعنى المادي من الخسارة، بل الدم ربيح دائماً حتى بالمعنى التجاري للربح؛ ذلك أن الشهيد، وإن كان يرحل عنا، ونخسر به عنصراً فاعلاً مخلصاً؛ إلا أن تضحية وإيثار شهيد واحد يخلق روح الإيثار والتضحية عند العشرات من الناس، ويكون قدوة لهم في الإيثار والتضحية، ويبعث القوة والفاعلية والاخلاص في نفوسهم. فالشهادة موت الفرد بمعنى فقدان الشهيد وغيابه عن عالمنا المادي وولادة للأمة، ومثل هذا الموت مربح ولا يعد خسارة حتى في الحسابات التجارية من الربح والخسارة.

ودم الشهيد يقطع طريق العودة على المهزومين سياسياً وفكرياً، إنه أداة الحسم في القضية الإسلامية فكرياً وسياسياً وعسكرياً، وقبل أن يصبغ الشهداء ساحة المواجهة بدمائهم فدمه يصيغ ويصحح الموقف السياسي والعسكري ويشكل في المجتمع الإسلامي بؤرة القوة والثورة في مقابل بؤرة الضعف والانهزام، فدمه يستلم الموقف ويحدد أعداء الدين من مخططاتهم ضد الدين والعقيدة والإنسانية.

البيان الرابع: في دم الشهيد الوعي والعطاء

دم الشهيد يجسد نقطتين أساسيتين في حياة الإنسان وفي مسيرة الحركة الاسلامية، وهما: (الوعي) و(العطاء).

وهاتان النقطتان تعتبران أساسين لقيمة دم الشهيد وبهما يكون الشهيد قدوة للآخرين، فهذا الدم يجسد أولاً مستوىً رفيعاً من الوعي والبصيرة واليقين.

وهذه هي النقطة البارزة الأولى في قيمة دم الشهيد، ولا قيمة للدم من دون هذا اليقين والوضوح، والدم الذي يراق من غير يقين سواء كان بالانتحار أو نحوه ليس من الشهادة في شيء. ولا من الرجولة والبطولة بشيء.

إن لدم الشهيد جذوراً تاريخية ضاربة في عمق التاريخ، وأهدافا وغايات حضارية يرتبط بها الماضي بالمستقبل عبر الحاضر الحي.

أما الغايات والأهداف التي يحققها دم الشهيد فهي تحكيم شريعة الله وإرادته تعالى على وجه الأرض، ومجاهدة الهوى والطاغوت، وتعميق خط الرسالة الربانية في الأرض، وفي حياة الإنسان، وانقاذ الإنسان من شرك الهوى والطاغوت. ومن شر النفس المرتبطة بالماديات والزخارف الزائفة.

أما الأصول والجذور التاريخية لدم الشهيد، فانه يجري في امتداد تيار عميق وواسع من الدماء والدموع والجهود والمعاناة والآلام والعذاب والصمود والصبر والجهاد عبر التاريخ.

وفي هذا الإطار التاريخي والرسالي يكتسب دم الشهيد قيمته الرسالية والحركية. ويكون الشهيد فخراً لأسرته ومناراً لأمته وصفحة من نور يتلألأ على جبين التاريخ.

وهذه الأهداف والغايات والعمق الحضاري هي التي تمنح الشهيد هذا الوعي الرسالي والنور الإلهي والبصيرة واليقين الذي تحدثنا عنها، وإلا فكثير من الناس يبذلون أموالهم ودماءهم، ولن يعود عليهم هذا البذل بجدوى، ولن تخرجهم من دائرة نفوذ الهوى، ولن تدخلهم في دائرة الهدى. ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾[1]

ولا يشك أحد في صدقهم في العطاء والتضحية، وأي عطاء وتضحية أكثر من التضحية بالنفس، والجود بالنفس أقصى غاية الجود. ولكن من

---

(١) سورة الكهف: آية ١٠٣ - ١٠٤.

دون أن يكون نابعا من منبع الوعي والوضوح واليقين، بل هو الهوى يزين لهم أعمالهم ويخدعهم ويريهم الباطل حقاً والحق باطلاً، ويسلبهم الرؤية والبصيرة الحقة، وهؤلاء هم ضحايا على مذابح الهوى، وهم يتصورون أنهم يحسنون صعناً وأصحاب مبادي ء وقضايا.

فاليقين والوعي هو الأساس الأول في تقييم دم الشهادة، ومن دون ذلك لا قيمة للدم مهما كانت التضحية. وقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «نوم علي يقين خير من صلاة في شك». وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين)[1].

والأ ساس الثاني في تقييم دم الشهيد: العطاء والتضحية؛ فالشهيد يعتبر قمة وقيمة في العطاء والتضحية، وليس بعد هذه القمة قمة، فإن الجود بالنفس أقصى غاية الجود.

والشهيد يبذل لله تعالى كل ما يملك، ولا يدخر لنفسه شيئاً، فحقيق أن يرزقه الله كل ما يتمنى من رحمته وفضله الواسع.

---

(١) أصول الكافي: ٥٧/٢.

وما أروع ما نقل عن السيد مهدي بحر العلوم (رحمه الله) حيث لفت نظره كثرة ما يروى من الثواب لمن زار الحسين (عليه السلام) فسأل أستاذه عن سر ذلك. فقال له:

إن الحسين (عليه السلام) عبد فقير من عباد الله، أعطى كل ما يملك لله من غير تردد، وحقيق بالله وهو الغني المطلق الذي لا حدود لخزائن رحمته، أن يعطيه من خزائن رحمته من غير حساب وفوق حساب الحاسبين.

والعطاء هو التصديق العملي للإيمان. فمن الناس من لا تصدق أعمالهم إيمانهم... إذا وقفوا في مواجهة أئمة الكفر وفي مواجهة المنكرات، وهذا التخالف بين الإيمان والعمل لا ينشأ دائماً من الغموض والشك - وإن كان يؤدي إليه دائماً - وإنما ينشأ أحياناً عن ضعف في النفس، وحب للدنيا، وإيثار للعافية، فيتخلف الموقف العملي للإنسان عن إيمانه وعقيدته، وتكون نتيجته الشح والبخل.

والقرآن الكريم دقيق في تعبيره عن العلاقة بين الإيمان النظري والصدق في الموقف العملي، حيث يقول تعالى: ﴿من المؤمنين رجال

صدقوا ما عاهدوا الله عليهم فمنهم من قضي نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾[1].

فليس كل المؤمنين صادقين في العمل، والفعل، في عهودهم مع الله تعالى، بل منهم الصادقون ومنهم غير ذلك، رغم أنهم مؤمنون، لكنهم لم يصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وتخلفوا في العمل عن الإيمان، وهذا النموذج من الناس شائع في مجتمعنا اليوم، وفي التأريخ نماذج كثيرة وشواهد حية على ذلك.

إن التضحية تعتبر أعلى درجات التفاعل النفسي والعاطفي مع الإيمان والعقيدة.

وقد يكون الإيمان إيماناً عقلياً مجرداً ذا صبغة عقلية رياضية خالصة، إيماناً أكاديمياً لا يغير شيئاً من واقع حياة الإنسان ولا يصنع حباً ولا بغضاً ولا ولاءً ولا براءةً، وليس له جذب ولا دفع في حياة الناس، وهذا هو إيمان الفلاسفة، الذين يعرفون الله من خلال المعادلات والقوانين الفلسفية، كإيمان الفارابي وابن سينا وديكارت وإيمانوئيل كانت.

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٢٣.

أما إيمان الشهداء فشي ء آخر يختلف عن هذا الإيمان، إنه عملة ذات وجهين: وجه للعقل ووجه آخر للعاطفة والحب والشوق والولاء والحب والعطاء والإيثار والفعل والانفعال.

تترقى العاطفة حتى تكون حباً، ويسمو البذل حتى يكون تضحية. وما أجمل كلام هذا الشاعر الذي يحدثنا على لسان الحسين (عليه السلام) في مناجاته مع الله تعالى يوم عاشوراء على مسرح الحب والشهادة:

تركت الخلق طراً في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا
فلـــو قطعتني في الحب إرباً لما مال الفؤاد إلى ســـواكا

إيمان الشـــهيد خليط من هذين الأمرين معاً: إيمان وحب، إيمان يصـــدق الحب، وحب يصـــدق الإيمان، مزيج من العقل والعاطفة يمزج بين منطق الفلاسفة والحكماء وعاطفة المحبين الوالهين.

إن دم الشهيد تعبير رائع عن هذا المزيج المقدس من العقل والحب، من منطق الحكماء، ووله المحبين، ومن تحكيم العقل وقوته وجاذبية الحب وفورانه. وهذا التفاعل النفسي هو الذي يؤهل النفس للعطاء والتضحية.

إن العقل وحده، والإيمان وحده لا يكفيان ليبلغ الإنسان هذا المستوى الرفيع من تجاوز الذات، والإيثار، والتضحية.

ولكي يبلغ الإنسان هذه القمة من الكمال لابد له من مدرسة أخرى ومنطق آخر وإعداد آخر؛ وهي مدرسة الحب ومنطق المحبين. والعطاء الذي يكوّن الشطر الآخر من شخصية الشهيد: نابع من هذا النبع.

وهذان الأساسان (اليقين والعطاء) هما المفتاح والمنطلق لفهم قيمة الشهيد ودوره في تحريك المجتمع الرسالي.[١]

---

(١) في رحاب عاشوراء: ص٨٤، الشيخ الآصفي (مع التصرف).

البيان الخامس: ما هي الحكمة من عدم تغسيل الشهيد وتكفينه؟

إن المعروف ومن ثوابت الشرعية الإسلامية أن الميت المسلم يجب تغسله وتكفينه ويحرم تركه بدون تغسيل وتكفين، وهذا الوجوب كفائي، ولكن هناك استثناء من هذا الحكم الشرعي وهو الشهيد. فالشريعة الإسلامية جعلت للشهيد خصوصية إذا وقع في ساحة القتال ولم يدرك حياً فإنه لا يغسّل ولا يكفّن ويدفن بثيابه، فلذا نقول ما هي الحكمة من جعل الحكم فقط للشهيد دون غيره؟

عن زرارة وإسماعيل بن جابر في الصحيح عن الباقر (عليه السلام) قال: (قلت له كيف رأيت الشهيد يدفن بدمائه؟ قال نعم في ثيابه بدمائه ولا يحنط ولا يغسل ويدفن كما هو)[1].

بيان ذلك يمكن أن يتخلص بعدة وجوه:

---

(١) الوسائل: ج٢، ص٧٢.

الوجه الأول:

إن الشهادة رافعة للنجاسة المادية والمعنوية: ذلك إن الشهادة أصبحت سبباً مباشراً لطهارة الشهيد من جميع الجهات فلا يحتمل أن يكون هو نجساً بأي حال من الأحوال وحتى دمه وثيابه تصبح بالتبع طاهرة، بل كل شيء منه طاهر ولا ينجس الغير، باعتبار الجانب المعنوي الجلي الذي اكتسبه بسبب الشهادة ومعه لا حاجة إلى غسله من الدم والعرق، كما لا حاجة إلى نزع الثياب بل إن ثيابه قد تكون معنوياً أطهر من أي كفن يمكن أن يحصل عليه.

الوجه الثاني:

هو إبراز أهمية الشهيد في الشريعة وإعطاؤه السمة والسمعة الإعلامية، وبيان ذلك: إن اختصاص الشهيد بأهمية أكثر وأكبر من غيره باعتبار عمله القيّم الذي قام به يبدو لنا أفضل من تغسيل جسمه وتحنيطه وتكفينه، فهو بحسب هذا الوجه يعتبر أسلوباً إعلامياً لإبراز أهمية الشهيد في الشريعة الإسلامية ومكانته الخاصة التي اعتنت به الشريعة عن غيره.

الوجه الثالث:

إنه يلاقي ربه بحالته التي سقط فيها وبكل أجزائه من دمه وثيابه، وبيان ذلك: إن كل أجزائه التي لاقت الشهادة وحالته التي حصلت بها الشهادة ينبغي المحافظة عليها وتسليمها إلى التراب ومن ثم كأنما تسلم إلى الآخرة بتمامها، ومن المعلوم أن جثمانه إذا غسل ذهب دمه الذي يجلل جسده، وإذا كفن نزعت عنه ثيابه، وكل ذلك ينافي ما ذكرناه.

الوجه الرابع:

إن الشهيد يعدّ من الصابرين ومن أعظم الصبر، وبيان ذلك: ورد في الرواية قال رسول الله (صلى الله وآله): (مَنْ لَقِيَ الْعَدُوَّ فَصَبَرَ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يَغْلِبَ؛ لَمْ يُفْتَنْ فِي قَبْرِهِ) [1].

فإن الشهيد قد صبر على أمر عظيم، وكل من صبر على أمر عظيم كان ذلك محكوم بمثل هذ الحكم من ترك التغسيل والتكفين، حيث روى أن شخصاً ما جاء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) واعترف أمامه بالزنى

---

(١) كنز العمال: ج٢، ص٣١٣.

وطلب منه التطهير بإقامة الحد فأقام (عليه السلام) الحد عليه بأن دفنه في حفيره إلى وسطه ثم ضربه الناس بالحجارة إلى أن مات.

فالمفهوم من سياق الرواية أن مات صابراً محتسباً وبعد ما مات أخرجه من الحفرة وصلى عليه ودفنه فقيل له إنه قد ترك تغسيله وتكفينه، فقال: إنه صبر على أمر عظيم.

هذه الرواية تعطي قاعدة عامة وهي أن كل من صبر على طاعة الله ورضاه إلى الموت احتساباً وإخلاصاً فهو ممن ينبغي ترك تغسليه وتكفينه وللعلماء فيها نظر، ولا شك أن الشهيد كذلك غير إن هذه الرواية غير معتبرة السند ومن هنا لم يفتِ الفقهاء بمضمونها ولكنها على أي حال يمكن أن تعطينا فكرة كافية عن وجه الحكمة في ذلك.[١]

---

(١) أخذ هذا البحث من كلام السيد محمد محمد صادق الصدر (مع التصرف). المصدر فقه الأخلاق: ص٦٦٩.

الباب الرابع

من صفات المجاهدين.

شروط النصر الإلهي.

أثر التفرقة في هدم المعنويات.

من صفات المجاهدين

الصفة الأولى: إخلاص المجاهدين.

الإخلاص: من الصـــفات الهامة التي يجب علينا جميعاً التحلي بها ضرورة للجميع خصوصاً لجند الإسلام المجاهدين في ميادين المواجهة.

والإخلاص: هو تخليص النية أو الدافع نحو العمل، من كل شيء ما عدا الله سبحانه وتعالى، وقدسية العمل وسمو قيمته مرهونة بمدى توفر الإخلاص فيه.

أي إن العمل يكون مقد ساً وذا قيمة عندما يكون الدافع إليه ر ضا الله تعالى فقط، ولا يكون لغيره تعالى أي أثرٍ فيه، وما لم تكن أعمالنا خالصــة لله تعالى فلن تكون لها أيةُ قيمةٍ الهية، بل على العكس يترتب عليها الإثم أيضاً.

الكاســـب والتاجر والطبيب وأمثالهم إذا لم يتوفر الإخلاص في أعمالهم فلن يشـــكل ذلك ســـبباً لبطلانها[1]، نعم لم يترتب لهم عنها الأجر، وبالتالي لن تساهم تلك الأعمال في تكامل أرواحهم ورقيها.

أما بالنسبة لأفراد التعبئة والجيش أو رجل الدين و سائر المجاهدين فإن أعمالهم جميعاً تعتبر من العبادات ذات البعد الإلهي، لذلك فإن أعمالنا تبطل إذا لم نؤدها بإخلاص ولم تساهم في رقينا وتقربنا من الله تعالى بل وفضـــلاً عن ذلك يكتب لنا بســـببها الإثم (وهذا هو الفرق بين هذه الحالة وسابقتها المتعلقة بأعمال الكاسب والتاجر وأمثالهم...).

الذاهب إلى ميادين الجهاد لا يصدق عليه وصف المجاهد في سبيل الله تعالى حقاً، ما لم يكن دافعه للذهاب هو رضـــا الله ســـبحانه، ومن أجل التقرب منه تعالى وأداءً للتكليف الشـــرعي. وما لم يتوفر هذا الإخلاص فلن يصدق على الذاهب إلى الجهاد وصف المجاهد حتى لو

---

(١) واضـح ان المقصـود من أعمالهم هي تلك التي تتعلق بطبيعة اختصـاصـاتهم، اما فيما يتعلق بالعبادات الشـــرعية فحكمهم يكون كباقي المكلفين بلا أدنى فرق، وما يخص اعمال المجاهدين يمكن تعميمه حتى على اعمال الكعبة والفنيين وغيرهم فهي تتحول إلى اعمال عبادية إذا ما كان القيام بها بدافع خدمة خلق الله مثلا وبنية مخلصة.

سمي عند الناس مجاهداً حارساً وجندياً للإسلام، في الظاهر قد يوصف بانه مجاهد لكن صورته الملكوتية لن تكون كذلك.

مشـــركٌ من يرى في عمله غير الله تعالى ورضـــاه والقرآن الكريم يوعده بالويل والخسران: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ *الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ *الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[1].

ويقول في مكان آخر موضحاً حقيقة المرائين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَـــدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[2].

إذن فكلُ عملٍ لا يؤتى به من أجل الله تبارك وتعالى (يؤتى رياءً) فهو فضـــلاً عن بطلانه يوصـــل المرائي إلى حافة الكفر ويحشـــر مع

---

(١) سورة الماعون: الآية ٤ – ٧.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٦٤.

الظالمين: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[١]. يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إنما الأعمال بالنيات)[٢] أي أن أعمالكم مرهونة بنواياكم، فإذا لم يكن العمل خالصاً لله تعالى فهو إما شرك وإما كفر، الهجرة تكون لله ولرسوله إذا كان الدافع إليها هو رضا الله سبحانه ولأجل نصرة دينه.

إن المشاركة في ساحة المواجهة والمرابطة تصبح مقبولة عند الله تعالى إذا كانتا لأجله سبحانه وتعاله ولأجل نصرة دينه والذاهب إلى ميادين الجهاد إذا قتل كان شهيداً حياً عند الله تعالى، إذا كان ذهابه بهذه النية وحتى إذا لم يقتل في المواجهة بل في طريقه إليها أو بعد عودته فقد وقع أجره على الله تعالى، وكان من المقربين عنده تعالى، والجنة هي لأمثال هؤلاء ولهم الحق بالافتخار بلقاء الله.

وعلى العكس من الحالة السابقة، فإن من يكون دافعه إلى الهجرة كسب المال أو الحصول على المنصب والجاه والرئاسة. وبصورة عامة

---

(١) سورة الصف: آية ٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٧، ص٢١١.

باقي الدوافع المادية الدنيوية فهجرته إلى ما هاجر إليه تتحدد ثمرة هجرته بالمال القليل الذي يحصل عليه وكلمات المدح والثناء والإطراء التي يحصل عليها، ويكون أجره الحسنات في الدنيا وحسب، وحتى لو قتل هكذا شخص في المواجهة فلن يحسب من الشهداء إذ إن عمله لم يكن خالصاً لله تبارك وتعالى، فلا قيمة له عند الله.

في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) ورد أنه يؤتى يوم القيامة بشخص ظاهره شهيد، فيسأل: ماذا كنت وماذا قدمت في دنياك لأخراك؟ فيقول: كنت في قلب المعركة قاتلت وأبليت في خط النار الأول وتقدمت وقتلت وأخيراً قتلت في سبيل الله تعالى فيقال له: كذبت! صحيح إنك كنت في المعركة وفي الخط الأول وهناك قتلت، ولكن لماذا؟! كان ذلك لكي يقال عنك: نعم الرجل شجاع.. ويقال لك أحسنت وبارك الله فيك.. ثم يصدر الحكم الإلهي أن ألقوه في جهنم.

الصفة الثانية: المجاهد صاحب رفق ورحمة

الرفق والرحمة من الصفات المهمة التي يُشترط توفرها في المجاهدين في سبيل الله وخصوصاً في جبهات القتال. والجميع يأنس ويرتاح لهاتين الصفتين حتى أولئك الذين ليس في قلوبهم أي شيء من الرفق والرحمة... إن هاتين الصفتين المقدسيان والمفعمتين بالنور والعاطفة الجياشة، يرتكز عليهما عالم الوجود، ولولا أن الله تعالى خلق الرحمة في الإنسان وجعلها من غرائزه الفطرية، لما كان هناك أبٌ أو أمٌ على استعداد للتضحية والبذل من أجل أبنائهم، وكل هذه الجرائم التي ترتكب في عالمنا المعاصر "في الشرق والغرب" الذي يسمى بالعالم المتحضر... تأتي بسبب انعدام الرحمة والعاطفة... وكل هذه المصائب والويلات التي تهيمن على العالم اليوم يرجع سببها إلى فقدان حكم الرحمة على البشرية.

وكلما انتزعت الرحمة من قلب الإنسان فمن الطبيعي أن تحلَّ محلها القسوة وغلظة الطبع وهذه من أسوأ الصفات المذمومة، وعندها يذهب عقل الإنسان ويطبع على سمعه وبصره ونطقه.

انعدام الرحمة هو الذي يوصل الإنسان إلى الحال التي يئدُ فيها بناتِهِ، ويقصف منازل الأبرياء بالقذائف والصواريخ، ويقطع الطريق ويحرق الأخضر واليابس لتعم شريعة الغاب.

النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) يقول: (من لا يَرحم لا يُرحم...) فالذي لا يرحم الناس لا يستحق أن يرحمه الله سبحانه[1].

انحطاط البشـــرية يأتي من فقدان الرحمة، وصـــفة الرحمة هذه تمتاز بأهميةٍ أكبر بالنســـبة للمجاهدين، إذ إن طبيعة عملهم وهي القتال تجعلهم على تماس مســـتمر بالقتلى والجرحى والتدمير، لذلك فما لم ينتهبوا إلى أنفسهم ويثبّتوا الرحمة والتراحم فيهم فإن القسوة والغلظة ستسيطر على قلوبهم. ولنا في سيرة الإمام علي (عليه السلام) قدوة وأسوة كيف كان رحيماً رقيقاً في ساحة الوغى.

في هذا المجال يحدد لنا القرآن الكريم منهجاً وا ضحاً يجب على كافة الأخوة المجاهدين أن يضعوه نصب أعينهم، بل وعلى الجميع أيضاً.

---

(١) في بحار الأنوار ج٧٧ ص١٦٨ عن الرســول (صــلى الله عليه وآله وســلم) قال: الراحمون يرحمهم الرحم يوم القيامة ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء).

وهناك حديث اخر عن الامام الباقر (عليه الســلام) يوضــح الأثر الأخروي للرفق والرحمة فيقول عليه الســـلام: ان الله عز وجل رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف. أصول الكافي ج٢ ص١١٩.

وما ابلغ الامام علي عليه السلام حين يتحدث عن الرفق والرحمة بعباد الله واهميتها لك بمعصيتك لربك وفقره إلى رحمتك بقرك إلى رحمة ربك. (عن غرر الحكم).

وعن الباقر عليه السلام أيضا قال: من قسم له الرفق قسم له الايمان. أصول الكافي ج٢ ص١١٩.

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾[1].

إن أنصار النبي محمد (صلى الله عليه واله) إذا هاجموا أعداء الله بعنف وقوة وغلظة ويقاومونهم بقوة وشدة حتى يقال: أن لا رحمة ولا عطف في قلوبهم يهجمون بعنف ويشقون صفوف أعدائهم بقوة ويتقدمون.

لكن لأنصار النبي محمد (صلى الله عليه واله) وجود مفعم بالرفق والرحمة إذا نظرنا إلى تعاملهم فيما بينهم، إنهم يتعاملون مع أعداء الله في غاية الشدة والغلظة ولا تأخذهم رأفة، لكنهم في نفس الوقت يتعاملون فيما بينهم في غاية الرفق والتراحم.

لقد كان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) المصداق الكامل والأبرز لأنصار النبي محمد (صلى الله وآله).

---

(١) سورة الفتح: الآية ٣٩.

الصفة الثالثة: المجاهد في قمة التقوى

التقوى صفة أخرى من الصفات الحميدة الواجب توفرها في كل مسلم، خاصة أولئك الأعزاء المرابطين والمجاهدين في سبيل الله تعالى.

من يخشَ الله تعالى حق خشيته يجتنب ما حرّم الله ويؤدي ما فرض الله عليه فتكون أعماله مورداً لقبول الله سبحانه، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم ويصرح به في قوله تعالى: ﴿**إنما يتقبل الله من المتقين**﴾ فعبادةُ الفاسق لا تحظى بقبول الله تعالى على الرغم من إنها تقع صحيحة بحسب الظاهر، فالأساس الحقيقي لصحة الأعمال وقبولها هو التقوى، فعلى جميع المسلمين وخصوصاً المجاهدين، وبالأخص من كان منهم في ميادين الجهاد، عليهم جميعا أن يتحلوا بتقوى الله ويجعلوا من خنادقهم مساجد ومحالاً لعبادته تبارك وتعالى.

فالخندق، والمعسكر، وأي مكان آخر للعمل الجهادي ينبغي أن يكون بالنسبة للمجاهد في سبيل الله مسجداً ومعبداً، وبعبارة أخرى إن على المجاهد أن يذهب إلى ساحة الصراع وهو يمتلك حالة التقوى السلبية على الأقل ويعود منها وهو يمتلك التقوى الإيجابية.

التقوى السلبية والتقوى الإيجابية

(١) التقوى السلبية... وفيها يعتزل الإنسان الناس كي لا يرتكب الذنوب والمعاصي ويسعى جاهداً للابتعاد عنها، ويحرص على أداء واجباته الشرعية والتكليف المناط به على أتم وجه حسب ما يرى.

(٢) التقوى الإيجابية... وهي ملكة تترسخ في قلب وروح المؤمن وتحجزه عن ارتكاب المعاصي سواء أكان بعيداً عن الناس أم يعيش في أوساطهم، وهذه الملكة هي التي يطلق عليها الفقهاء (وصف العدالة)، ومصداقها العلمي أن يلتزم المسلم وخاصة المجاهدين الذين يعيشون في الجبهة وفي وسط الناس بالاجتناب عن المحرمات، فضلاً عن التزامه بالتكاليف الإلهية، شريطة أن يكون هذا الالتزام ملكة راسخة في القلب والروح.

التقوى السلبية تعني اعتزال الناس لترك المحرمات، لكن الإيجابية تعني اجتناب المحرمات والالتزام بالواجبات مع البقاء بين الناس في التقوى الإيجابية، يجد المتصف بها حالة من النفرة والانزجار والكراهية للذنب عندما يواجهه، وبالعكس يجد حالة من الشوق والرغبة والحب للعمل المستحب والواجب، وهذه الحالة التي يطلق عليها الفقهاء العظام وصف العدالة.

ضعف أثر التقوى السلبية

التقوى السلبية بحد ذاتها جيدة، ما دامت تحجز العبد عن المعاصي وارتكاب المحرمات، لكن مدى تأثيرها في النفوس ضعيف جداً ولن تصل بالفرد للغاية المطلوبة. أي إن الإنسان لا يستطيع بامتلاك التقوى السلبية لوحدها، أن يصون نفسه عن الوقوع في المعاصي على المدى البعيد. ومن مصاديق التقوى السلبية ما ينقل عن بعض أصحاب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) من إنهم كانوا يضعون الحصى تحت ألسنتهم من أجل زلات اللسان وآفاته، لكن الأفضل من ذلك هو أن توجد في الإنسان حالة النفرة والإعراض داخلياً عن الغيبة والتهمة والبهتان وإثارة الشائعات وباقي آفات اللسان بل وباقي الذنوب، تحصل لديه ملكةُ اجتناب تلك المعاصي، أي إنه حصل على التقوى الإيجابية، وعند ذاك لن يحتاج إلى وضع الحصى تحت لسانه ولتجنب زلاته، فإن له ما يمنعه عن ذلك في داخله.

ومن مخاطر التقوى السلبية هي إنها من الممكن أن توصل الإنسان إلى سوء العاقبة. ومن الشواهد التاريخية على ذلك ما حدث لعبد الملك بن مروان فهو قد بنى هذا النوع من التقوى في نفسه قبل الخلافة فكان أن اعتزل الناس واعتكف في المسجد للعبادة ولكنه لم يوجد في نفسه ملكة التقوى الإيجابية حقاً، وقد ظهر ذلك عند وصول نبأ تنصيبه خليفة إليه بمجرد وصول النبأ ألقى بالمصحف الذي كان في

يده على الأرض وخاطبه قائلاً: هذا فراق بيني وبينك. وعبد الملك نفســـه هذا يقول عن نفســـه: كنت أتأذى إذا قيل لي: إن أحد قتل بعوضة، أما الآن فإن الحجاج يكتب إلي أنه قتل المئات دفعة واحدة فلا يؤثر ذلك في نفسي وكان شيئاً لم يكن[1].

ومن مخاطر التقوى السلبية أيضاً إنها قد تؤدي إلى سوء الخلق وإلى خشـــونة التعامل مع الآخرين والنفرة منهم، وهذا ما يحدث أحياناً للذين يعتزلون الناس ويقطعون أي تأثير إيجابي أو سلبي مع الآخرين. وهؤلاء إذا دخلوا مجلســـاً أو احتكوا بالناس داخلهم التعالي عليهم واحتقارهم، وإذا وصـــلوا إلى منصـــب ومقام أطلقوا العنان لغرائزهم المكبوتة فلا يقف عندها شيء في طريقهم.

ورغم ما تقدم ذكره من مخاطر التقوى السلبية، إلا إن استحصالها يبقى أمراً مطلوباً وجيداً للغاية، شـريطة أن يكون مقدمة لاسـتحصـال

---

(١) في تاريخ الخلفاء للسـيوطي ص٢١٧ ط. مصـر. عن ابن ابي عائشـة قال: افضـى الامرُ ـ الخلافة ـــ إلى عبد الملك والمصـحف في حجره، فأطبقه وقال: هذا اخر العهد بك. وفي ص ٢١٦ من المصدر نفسه: (كان ـــ عبد الملك بن مروان ـــ عابداً زاهداً ناسكاً قبل الخلافة الا ان حالة تغير بعد الخلافة كثيرا وهذا ما توضحه الرواية التالية التي يرويها السيوطي في المصدر السـابق ص ٢١٦ والتي يعترف عبد الملك نفسـه بسـوء العاقبة التي ال اليها بعد ان وصـل إلى كرسي الحكم يقول السيوطي: وكان ـــ عبد الملك ـــ يجلس كثيرا إلى ام الدرداء فقالت له مرة: بلغني يا أمير المؤمنين إنك شربت الطلاء بعد النسك والعبادة فقال، فقال عبد الملك: أي.

التقوى الإيجابية، ولكن ويلٌ للمجاهد الذي يذهب إلى ميادين الجهاد ويعود دون أن يرسخ في نفسه حالة التقوى الإيجابية، فالخندق وميادين الصراع هي محل ومدرسة التكامل.

الصفة الرابعة: صبر المجاهدين

الصبر وهي الصفةُ الحميدةُ الضرورية للجميع خصوصاً للإخوة الأعزاء المرابطين على الجبهات، فلا يمكن اجتيازُ اللحظات الحرجة والمصيرية في ميادين المعركة ما لم يكن المجاهد صابراً بكل ما للصبر من معنى.

وفي الحرب هناك الانتصار والهزيمة، الجوع والعطش، البرد والحرّ، الدفاع والهجوم، التراجع والتقدم، وغيرها، كل هذه مواقف حساسة وحرجة تستلزم الصبر والمجاهدون حقاً هم الذين يستعينون بالصبر في هذه المواقف الحرجة وعليهم أن يدعو الآخرين للتحلي بالصبر أيضاً لاجتياز تلك المصاعب.

إن المعارك التي يفرضها على الإسلام أولئك الجناة والمعتدون وقوى الكفر... تعتبر بناءةً ومفيدة جداً بالنسبة لنا على الرغم من أنها حملت ولا زالت تحمل معها خسائر جسيمة غير قابلة للتعويض... وبسببها يواجه أعزّتنا في ساحة المواجهة العديد من المشاكل الصعبة من الحر اللاذع والبرد القارص، إذا تأملنا قليلاً وقارَنّا بين وضع مجاهدينا حالياً

في المواجهات ووضـع جند الإسـلام خلال الصـدر الأول للإسـلام... نستنتج بوضوح أن وضع مجاهدينا حالياً يعتبر أفضل ولله الحمد من ناحية أمور الرفاهية فمسلمو صدر الإسلام كانوا يذهبون إلى القتال حفاة وتتعرض أرجلهم العادية للكثير من الجروح والأذى بسبب ذلك، وكانت مؤونتهم في بعض المعارك لا تتعدى التمرة الواحدة.

نعم في عصر الإسلام الأول، عانى جندُ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسـلم) الكثير من المصـاعب والمشـاكل والجوع والعطش والأذى.

إن الحرب تحمل معها عادةً المتاعب والمصـاعب وتحدث فيها بعض النقائص.. والذي يسدّ كل نقصٍ ويتغلب على كل المصاعب والمتاعب هو صبر وإيمان المجاهدين والمقاتلين، فالصبر والإيمان والرضا بقضاء الله تعالى هو الذي يبعث فيهم القدرة على المقاومة والصمود.

إن الصبر والصمود تجاه الظروف الصعبة هو الذي يدحر في الواقع شياطين الإنس والجن... وهو الذي يوصل المجاهد إلى هدفه الأسمى إلى لقائه بمحبوبه والحياة عنده وتحت ظله.

وما أسرع ما تضلُ الشياطين الإنسان وتدفعه إلى أسفل سافلين، إذا لم يكن يتحلّى بالصبر.

حديث بسيط في غير موقعه عن المواجهة، التململ وإضعاف معنويات الآخرين... سوءُ الظن وعدم الصبر تجاه بعض الصعوبات المؤقتة يمكن أن يسلب الإرادة من الإنسان وتبعث فيه اليأس وتؤدي به إلى سوء العاقبة. في حين إن استمرار النشاط والحيوية والتضحية وحفظ الإيمان والعقيدة مرهون بصبر جند الإسلام المجاهدين وبصبر الشعب المسلم.

علماء الأخلاق يجمعون على اعتبار صفة الصبر كأساس لبناء جميع الفضائل في الإنسان، فإذا فقد الصبر عجز عن اكتساب أي من الفضائل والصفات الحسنة الأخرى، ولهذا السبب بالذات أولى القرآن الكريم أهمية كبيرة وأشار إليه وإلى متعلقاته في أكثر من مئة مورد. وهنا يجدر التذكير بأن الله تعالى أعد أجراً عظيماً جداً للصابر والصامد تجاه الظروف الصعبة إذا كان ذلك من أجل تثبيت كلمة (لا إله إلا الله).

والصبر على المصاعب والمشاكل أثناء المواجهة، هو الذي يربّي الإنسان، أما المشاكل والمصاعب والنقائص التي تبدو في الظاهر بلاءً فهي في الحقيقة نعمة الله بالنسبة للرجل الرباني الذي يستعين بالصبر في مواجهتها، وهذه النعم يجب استثمارها بقدر المستطاع من أجل البناء الذاتي.

﴿فأما الإنســـان إذا ما ابتلاه ربُّهُ فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن، وأمّا إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن، كلاّ...﴾[١].

القرآن الكريم يتحدث عن موقف الإنسان من الابتلاء والامتحان الإلهي، فيذكر موقف من يعتبر نزول النعم الإلهية عليه إكراماً له ورحمة ولطفاً، في حين أنه يعتبر بعض الصـــعوبات التي يمرّ بها من محدودية الرزق وغير ذلك إهانة له ودليلاً على عدم حب الله تعالى له وعدم رحمته به، والقرآن الكريم يرفض كلا الموقفين ويحدد أن كلا الأمرين (سواء إعطاء النعم أو نزول المصائب) هما من أجل اختبار الإنسان وابتلائه[٢].

---

(١) سورة الفجر: الآيات ١٥ -١٧.

(٢) لاحظ تكرر لفظة (ابتلاه) في بداية الحديث عن كلا الموقفين في الآية. وهناك الكثير من الأحاديث الشريفة التي توضح وتفضل المفهوم القرآني الذي تطرحه الآية الكريمة نذكر منها للاستشهاد ما يلي:

عن الامام علي (عليه السلام) قال: إن الله أنعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة. (نهج البلاغة باب الحكم تحت رقم ١٨.

القرآن الكريم يحدد بوضوح أن الهدف من خلق الإنسان هو العبادة، أي توفير الفرصة لعبادة الله تعالى والتكامل من خلال ذلك، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1].

والابتلاء بالمصاعب هو طريق تحقق هذا الهدف، فمن خلاله يعرف صدق العبادة، يقول تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[2].

يقول الله تعالى إننا نمتحنكم بالحرب والمصاعب والجوع والحاجة لتمحيص إيمانكم ونختبركم بقطع الأرجل والأيدي وغير ذلك، فلا يظن الذين فقدوا أرجلهم أو أيديهم وغيرها في المواجهة أنهم لم يحصلوا على شيء ولم يصلوا إلى هدفهم، لأنهم لم يستشهدوا، كلا فهم أعلى مرتبة من الشهداء، فالمعلول من الحرب له أجر وثواب على

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة البقرة الآيات ١٥٥ ــ ١٥٧.

كل لحظة تمر من عمره، شريطة أن لا ينفذ صبره، بل يستعين بالصبر ويوصل حياته بمعنوية عالية ويواصل جهاده بحسب قدرته، شاكراً الله تعالى على كل حال (وأي فضل أعلى من هذا)[1].

وفي هذا المضمون ننقل هذه القصة، وملخصها: إن شخصاً كان يواظب على أداء صلواته اليومية جماعة في المسجد ويعود إلى البيت. مرة لاقاه رجل كان متوجهاً بشوق إلى المسجد لأداء صلاة الجماعة فسأله: هل انتهت الصلاة؟ فأجابه نعم، فتغير حال السائل أسفاً وتأثراً، لأنه لم يدرك صلاة جماعة، فلما رآه الرجل الأول بهذه الحالة من التأثر والأسف قال له: إني على استعداد لأن أهبك أجر ذهابي إلى المسجد وصلاتي جماعة وعبادتي مقابل أن تعطيني ثواب حالة التأثر والأسف التي تعيشها الآن، لأنك لم تدرك صلاة الجماعة.

نعم قد يكتب للإنسان أجر المرابطة عاماً كاملاً في مواجهة الأعداء بسبب عيشه لحالة التأثر والأسف الصادق، لعدم تمكنه من الذهاب

---

(١) عن الإمام (عليه السلام) قال: (من ابتلى فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد): نهج البلاغة باب الحكم.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: إن في الجنة منزلة لا يبلغها عبد إلا ببلاء في جسده.

إلى المواجهة. والمحصـــل: أن المعلولين والجرحى يعتبرون من الأفراد الذين يستطيعون أن يبنوا ذواتهم ويربوها بصورة جيدة.

المنطق القرآني يؤكد أن للمجاهد الذي يصـــبر على المشـــاكل والصعوبات في الجهاد ميزتين هما: أن صبره هذا هو في الحقيقة عبادة يستحق عليها الأجر[١].

وثانياً: أن الله تعالى يبشـره بأنه من زمرة: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٢].

فالمجاهد الصـابر فضـلاً عن شموله برحمة الله تعالى وصـلواته عليه يدخل في زمرة المهتدين، وهذا هو الأمر الأهم.

---

(١) في مستدرك الوسائل للشيخ النوري: أن رجلاً أتى جبلاً ليعبد الله فجاء به أهله إلى رسول الله (صـلى الله عليه وآله) فنهاه عن ذلك وقال: (إن صـبر المسـلم في بعض مواطن الجهاد يوماً واحداً خير له من عبادة أربعين سنة): المستدرك ج٢ ص٢٤٥.

(٢) سورة البقرة: آية ١٧٥.

الصفة الخامسة: المجاهد والتوكل على الله.

التوكل على الله يجب أن يكون أقوى وأمضى أسلحة مقاتلي الإسلام.

مصداق التوكل، هو أن لا ينظر المجاهدون في سبيل الله تعالى، لا إلى كثرة العدد ولا إلى جودة العدة، ولا إلى القيادة القوية ولا إلى أنفسهم أيضاً، بل يجب أن تتوجه أبصارهم دائماً وفي جميع أعمالهم إلى القوة الإلهية، وأن يكون شعارهم وأملهم بالنصر الإلهي، فالله هو الناصر ومنه النصر.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[١].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى..﴾ [٢].

---

(١) سورة الانفال: الآية ١٠. وفي مشكاة الانوار ص ١٧ عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: من توكل على الله لا يغلب ومن اعتصم بالله يهزم.

(٢) سورة الانفال: الآية ١٧.

بالطبع فإن تهيئة السلاح والمعدات وزيادة القوة المقاتلة وتطوير كفاءتها والحرص على التنظيم والانضباط وغيرها، كل هذه أمور ضرورية يجب الاهتمام بها وتوفيرها بحسب القدرة، كما يقول تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾ (١).

لكن جميع تلك الأمور لا تعدو أن تكون وسائل لا أكثر هي التي تحسم النصر وتحقق الهدف، لذا يجب عدم الاعتماد عليها بصورة رئيسية، بل إن اعتمادكم يجب أن يكون أساساً بالتوكل على الله تعالى، فهو تعالى خير ناصر ومعين.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...﴾ (٢).

---

(١) سورة الانفال الآية ٦٠.

(٢) سورة الطلاق: الآيتان ٢ – ٣.

نعم... فمن يتق الله تعالى، يجده عونه، يهيئ له سبل النجاة من الذنوب والمصائب والمشاكل ويرزقه من حيث لا يحتسب ولا يتوقع، ومن توكل على الله تعالى كفاه.

إذا كانت ساحة الجهاد مكاناً مقدساً حقاً وكان المقاتلون فيها أولي تقوى وورع وما كان للذنب والمعصية فيها مكان، إذا كان حالها كذلك فمن المؤكد أن التوكل على الله تعالى هو الذي يسود فيها.

والمنطق القرآني يؤكد أن النصر حليف جبهة المتوكلين على الله تعالى وإن الطرق المسدودة تفتح للإنسان قوة وعمق في نفسه، وعندها روح التوكل على الله ستزهر في قلبه الاطمئنان والثقة والأهم من ذلك إنه سيجد الله تعالى عونه في المصائب يجيبه إذا دعاه ويغيثه إذا استغاثه يكون بذلك مشمولاً برعايته تعالى.

وخلاصة ما تقدم: هي أن يكون التوكل على الله هو محور جميع تحركات جند الإسلام (وعلى الله فليتوكل المتوكلون).

وعلى النقيض من التوكل هناك صفات مذمومة هي التكبر والغرور والعجب.

إن الاعتماد الكاذب على النفس والقوى المادية وحدها بمعزل عن التوكل على الله، هو الذي يجلب الهزيمة للمقاتلين، ولو نسب النصر

إلى النفس لا إلى الله تعالى واتبع ذلك بالعجب والغرور حينها تحل الهزيمة، وتكبر المشاكل ويقع الخلاف وتحصل الفرقة ثم التقوقع والخمول.

يقول تعالى في كتابه المجيد:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾[1].

الله سبحانه يؤكد بجلاء أن الغرور والعجب ونسبة النصر إلى النفس تؤدي إلى الحاق الهزائم والنكسات بالقوات المقاتلة.

في معركة حنين، حيث كانت عدتهم وعددهم أقل دائماً من العدو وكان النصر حليفهم، حيث إنهم كانوا يسمعوا ويطيعوا، لكنهم في حنين، وعلى الرغم من قوة وكثرة عددهم وعدتهم هزموا وقتل منهم من قتل، بل وكان من المحتمل القريب أن يستشهد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً.. وكان سبب الهزيمة في المعركة هذه

---

(١) سورة التوبة: الآية ٢٥.

هو الغرور والعجب بكثرة العدد وضعف العدو، كما صرح بذلك النص القرآني: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ...﴾.

ورغم ذلك فقد ترأف الحق تعالى بالمسلمين بعد أن تلقوا درساً هاماً في حقيقة نزول النصر وأنزل عليهم سكينيه ونصرهم ودحر الكافرين.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[1].

وعذب الذين كفروا بالأسر والقتل، كما ينص على ذلك المفسرين.

هذه القصة الواقعية التي ذكرها القرآن الكريم وفصّلها التاريخ، يجدر بكم أن تعتبروا بها وهي تنصحكم وتقول لكم:... يا جند الإسلام، لا تغتروا في حربكم وجبهاتكم بكثرة العدد وجودة العدة... وليكن توكلكم واعتمادكم على الله تعالى فقط.

فبذلك يكون النصر حليفكم.. وإذا حدث لا سمح الله أن اتكلتم على أنفسكم وأسلحتكم فانتظروا الهزيمة الحتمية، فالله تعالى أقسم أن

---

(١) سورة التوبة: الآية ٢٦.

يهزم المغرورين، والتجربة تثبت أن من اعتمد على غير الله تعالى مُنِيَ بالهزيمة والفشل ولم يشم رائحة النصر والظفر.

قصة من الصدر الأول للإسلام

في الصـــدر الأول للإســـلام مُني الروم بهزائم مريرة على أيدي المسلمين جعلتهم يعتقدون إن للقوات الإسلامية تنظيمات وسياسات وخططاً عســـكرية معقدة للغاية ومتطورة بحيث تؤهلهم لتحقيق تلك الانتصـــارات الباهرة في ميادين المعارك، وكما حيرتم أنتم المجاهدون الأعزاء طواغيت الشـرق والغرب في عصـرنا الحاضـر بانتصـاراتكم الباهرة، فقد سبقكم إلى ذلك أيضاً المسلمون الأوائل في صدر الإسلام حيث هزوا وحيروا عالم الكفر آنذاك بانتصاراتهم العظيمة والمتواصلة، بحيث إن الإمبراطورية الرومانية مع عظمة قواتها آنذاك كانت تمنى دائماً بالهزائم المريرة مقابل جيوش المسلمين.

في أحد تلك المعارك وقع اثنا عشر مسلماً في أسر الروم، وبناءً على أمر ملك الروم أحضـــر هؤلاء الأســـرى لديه، في البداية حاول الملك استحصال المعلومات العسكرية الهامة عن المسلمين من هؤلاء الأسرى بإغرائهم فمنّاهم أن لو تركوا الإســـلام والتحقوا بجيشـــه لجعلهم من قادة الجيش ولزوّجهم أجمل النساء، وخصص قائد الأسرى بأن يمنحه ابنته لو أجابه إلى ما طلب منهم...

ولكن هذا الإغراء والترغيب لم يحدث أدنى تأثير في صمود وصلابة هؤلاء الأسرى وإرادتهم القوية فأجاب أحد الأسرى ذاك الملك بكل عنفوان وإباء قائلاً: (إني لأفضّل القتل ألف مرة في سبيل الإسلام على أن أحيا في ظل الكفر)[1]. وإزاء هذا الصمود والصلابة والإباء تنازل ملك الروم عن طلبه من الأسرى بأن يتركوا الإسلام ويلتحقوا بجيشه وطلب ما هو دون ذلك وهو أن يعطوه معلومات عن الأمور العسكرية للمسلمين، لكنه قوبل هذه المرة أيضاً برفض وإباء بل وأدرك من خلال بعض الأسئلة التي وجهها لهم أن إحاطتهم بالأمور العسكرية قليلة، فازداد عجباً الغموض عليه من كيفية تحقيق المسلمين لكل تلك الانتصارات؟!

ثم شرع الملك بعد ذلك بالتهديد والإرهاب والوعيد ولتخويفهم أمر بجلب قدر كبير يغلي فيه زيت الزيتون فأحضروا ما طلب، فهدد الأسرى المسلمين أنه إذا لم يستجيبوا لطلبه بترك الإسلام والالتحاق بجيشه لأحرقهم بذلك الزيت المغلي، ولكن هذا الوعيد والتهديد لم

---

(١) وأبلغ من هذا قول سيد الشهداء أبي الضيم الإمام الحسين (عليه السلام): (إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما وشقاء)، فأبو الأحرار (عليه السلام) يرى السعادة في الموت والقتل بعزة ويرى الشقاء كل الشقاء في العيش برفاهية في ظل الكافر، وهذا هو الإباء الذي ما بعده إباء.

يسفر عن شيء أيضاً وعجز عن إخضاع هؤلاء الأسرى الأباة لما طلبه الملك فأمر أن يلقي أحد الأسرى في القدر فألقي...

وطفت بعد فترة عظام ولحم هذا الأسير على سطح الزيت وأمام أعين أخوته الأسرى، ولكن هذا الأمر أيضاً لم يفت في عزمهم وإصرارهم... فأمر الملك أن يلقي أسير ثان في القدر... فجلبوا الثاني ولما وصل إلى حافة القدر بكى هذا الأسير ففرح الملك وسأله بتشف عن سبب بكائه وقال له: تبرأ من الإسلام لتصبح حراً. فأجابه هذا الأسير الحر الأبي وقال: إن سبب بكائي هو لأني لا أملك أكثر من نفس واحدة أقدمها في سبيل الله ودينه، يا ليت لي عشرات الأنفس كي أحرق عشرات المرات في سبيل الله تعالى.

وما أعظم الأثر الذي تركته هذه الكلمات الأبية لهذا الأسير المسلم المتوكل على الله تعالى على ملك الروم وحاشيته، بحيث إنهم لم يعودوا قادرين على قتل بقية الأسرى، وأدت إلى أن يتنازل عن كل طلباته السابقة واقتصر أخيراً على طلب تافه وجهه إلى الأسرى لعله يرد به بعض الماء الذي أريق من وجهه أمام شموخ هؤلاء الأسرى الأباة ولعله يداوي به بعض الذلة التي استشعرتها نفسه تجاه هؤلاء الأحرار. أتدرون ماذا كان طلب ملك الروم وامبراطورهم الذي علا في الأرض وملك من أسباب القوة المادية ما ملك؟ طلب من قائد الأسرى أن

يقبل رأسه كي يطلق سراحه وباقي الأسرى فوافق القائد المسلم لكن وافق على هذا الطلب لسبب لا يتعلق به بل من أجل إنقاذ الآخرين فقبّل رأس الملك وهو يقول مناجياً ربه: (اللهم إنك تعلم إني ما كنت لأقبل هكذا ذلة إلا لأجل إنقاذ الآخرين من أمر الكافرين).

نعم لقد أيقن ملك الروم بأنه عاجز عن مواجهة المسلمين، لماذا؟! لأنهم لا يعتمدون على القوى المادية لا يعتمدون على كثرة العدد والعدة.

الصفة السادسة: المجاهد وطاعة القيادة الشرعية

من الشـــروط الأخرى التي يجب أن يلتزم بها المجاهدُ في ســـبيل الله تعالى أينما كان "في الجبهة أو أي من المؤســـســـات الثورية" هي طاعة القيادة والمسؤولين.

وهذا الأمر ضـــروري في حفظ النظام وهو واجبٌ شـــرعي أعلنه الإســـلام. وقد أوضـــحته الآيات القرآنية والأحاديث الشـــريفة بما فيه الكفاية وبجلاء. كما إن العقل يحكم بوجوب طاعة المســـؤولين والقيادة في النظام الإسلامي

﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمر مِنكم﴾[1]. وأولي الأمر هم الأئمة المعصومون (عليهم السلام).

إن التمرّد على القيادة الشـــرعية وعدم طاعتها تدل في الواقع على عبادة الإنســـان نفســـه وتعصـــبه لذاته. وفي علم الأخلاق يذكر إن أحد طرق حب الإنسان لذاته هو أن ينمّي الإنسان في نفسه روح التسليم تجاه الحق سبحانه وتعالى والمتحور حوله عز وجل.

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

إن الا صطدام بدون مبرر مع الآخرين والانتقادات غير الـصحيحة وتسقيط القادة والمسؤولين وإثارة الشائعات وتوجيه الاتهامات والعياذ بالله كاتهام وطعن وغيبه القائد وأمثال ذلك، كلها تعتبر ذنوباً عظيمة وانحرافات من وجهة نظر الشرع الإسلامي الحنيف.

إن أول عمل ركّزه الإسـلام في بداية ظهوره كان انتخاب المسـؤول والرئيس للنظام والمؤسـسـات. وأعلن أن الأئمة المعصـومين (عليهم السلام) هم القادة بعده، وكما أن الله تعالى أمر بطاعة الرسول (صلى الله عليه واله) والأئمة الطاهرين (عليهم السـلام)، واعتبر طاعتهم طاعته تعالى وطاعته تعالى طاعتهم أي أن حكم النبي (صـلى الله عليه واله) وحكم أي من الأئمة (عليهم السلام) يعتبر عين حكم الله.

وعندما يأمر الله تعالى بإطاعة الرسـول والأئمة (عليهم السـلام) فأمرُهُ يعني وجوب متابعتهم بصـورة كاملة، ويعني أن الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة كما هو مرهون بطاعة الله عز وجل مرهونٌ بطاعة الرسول والأئمة (عليهم السلام) أيضاً.

إن رسـول الله (صـلى الله عليه وآله) عين الأئمة الأطهار (عليهم السلام) قادةٌ لأمته بعد وفاته، كما أن الإمام الثاني عشر الحجة المنتظر (عليه السلام) عين نائباً عنه وقائداً للأمة في غيبته.

واستناداً على الحديث الوارد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً يحدد الشرع الإسلامي أن على الفرد المسلم الذي لا يتمكن من الوصول الى الإمام المعصوم (عليه السلام) عليه أن يرجع إلى الفقيه الجامع للشرائط وتجب عليه طاعته.

ومما يجدر الانتباه إليه هنا هو وجوب طاعة القادة والمسؤولين المعينين من قبل الفقيه الجامع للشرائط أو وكيله المطلق أو القادة، فهؤلاء القادة تجب طاعتهم ما داموا مؤيدين من قبل الفقيه.

ومجريات التاريخ تدل بوضوحٍ على أن الكثير من الهزائم والويلات التي مُنِيَ بها المسلمون كانت بسبب عصيان أوامر القيادة الإسلامية وهذا ما تدعمه وتؤيده النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة. أنتم تعرفون ما جرى في معركة أحد وهزيمتها، فالهزيمة في هذه المعركة واستشهاد عددٍ من المسلمين ما كان إلا بسبب عصيان أوامر القيادة.

إن الانحراف عن القيادة وتجاوز أوامرها كان سبباً لتلقّي المسلمين ضربة قاسيةً في هذه المعركة، ففيها كُسرت أسنان وجبهة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفيها استشهد سيد الشهداء حمزة عم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

بعد انتهاء هذه المعركة سُئل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن سبب الهزيمة فأجاب (صلى الله عليه وآله وسلم): لأنهم نسوا الله للحظة ."نعم قد يؤدي عصيان أوامر القائد، إلى هزيمة الإسلام.

وفي معركة أحد نزلت هذه الآية: ﴿ولقدْ صدقكمُ الله وعدَهُ إذْ تحسونهمْ بإذنه حتى إذا فشلتمْ وتنازعتمْ في الأمرِ وعصيتُمْ منْ بعدِ ما أريكمْ ما تحبون منكمُ منْ يريدُ الدنيا ومنكمْ من يريدُ الآخرةِ ثمَّ صَرَفكمْ عنهمْ ليبتليكمْ ولقدْ عفا عنكمْ والله ذو فضلٍ على المؤمنين﴾[1].

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٢. وفي تفسير المبين للشيخ مغنية تعليقا على هذه الآية : (ولقد صدقكم الله وعده بنصر المسلمين بلسان نبيه ان ينصرهم على المشركين في وقعة احد بشرط ان لا يعصوا للنبي امرا اذ تحسونهم بإذنه اذ تقتلون المشركين في بداية المعركة حتى اذا فشلتم ضعفتم وجبتم وتنازعتم في الأمر أمر النبي الرماة يوم أحد أن يثبتوا في مكانهم ــ فوق الجبل ـ ولا يتركوه فوقع النزاع فيما بينهم فامتثل بعضهم أمر الرسول وعصى آخرون، وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون من هزيمة المشركين وما تركوا ورائهم من غنائم منكم من يريد الدنيا الرماة الذين أخلوا أماكنهم للعدو طمعاً في الغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهو الرماة الذين ثبتوا في مكانهم وقتلوا ولم يعصوا الرسول.

شروط النصر الإلهي

من المسلم به صدقُ وعدِ الله تعالى بنصرة المسلمين ولكن تحقق هذا الوعد وتحقق النصر يستلزم توفر شروط عدة، وهي:

١-أن لا يجد التعب وضعف الإرادة والتهاون طريقاً إلى المجاهدين.

٢-يجب أن تسود روح الاتحاد والأخوة والوئام بينهم.

٣-والأهم من كل ما تقدّم هو أن يتوفّر شرط إطاعة القادة والمسؤولين وقد تقدم تأكيد القرآن الكريم على أن جيش الإسلام إذا لم يتابع قادته سيُهزم ويتلاشى.

٤ـ الثقة بالله أولاً والثقة بالنفس ثانياً.

أثر التفرقة في هدم المعنويات

من الواضح أن جميع الانتصارات التي حققها المسلمون أتت بفضل المعنويات العالية المستمدة من الله تعالى وبفضل التوكل عليه تعالى ورعايته، إلا أن هذه الرعاية ستُرفع عن هذه الأمّة إذا دبّ الخلاف والفرقة والنزاع بين القادة والأفراد، وستتدهور معنوياتهم، وفي هذه الحالة ستكون الهزيمة نصيبهم.

وهنا يجب التذكير بأن ما تقدم حول وجوب طاعة القادة والمسؤولين لا يعني أن أياً من أفراد القيادة والمسؤولين لا يُحتمل فيه أن يخطأ أصلاً،

كما لا يعني حتمية وجود الانســـجام الأخلاقي بينه وبين الآخرين.. ولكن رغم ذلك تبقى طاعة القادة والمسؤولين واجبةٌ و ضروريةٌ، لأنها في الحقيقة ضمان حفظ النظام الإسلامي وديمومته.

لا شـــك أن المفترض بالقائد والمســـؤول أن يحرص على الالتزام بمبادئ وأخلاق القيادة والمسؤولية في الإ سلام، وأن يحرص على احترام وجهـات نظر الآخرين ورعـايـة حقوقهم، وكـذلـك أن يحرص على التعامل بالحســـنى والشـــفقة والرحمة مع من تحت إمرته وأن يؤثرهم على نفسه كي يكون بذلك قدوةً ومربياً ومعلماً.

وإذا حدث لا سمح الله أن أحد القادة أو المســـؤولين لم يلتزم بهذه المبادئ والأخلاق بصـــورة كاملة، فعلى أي حال يبقى التكليف قائماً على من تحت إمرته بأن يلتزموا بواجبهم الشـــرعي "طاعة القائد أو المســـؤول"؛ ففي المواجهة والمعســـكرات وأي محلٍ آخر للعمل تَجبُ طاعة المسؤول وتبقى ضروريةً حتى لو كانت للقائد بعض الأخطاء.

نعم لابد للعبادات العليا من تلافي الأمر وإصـــلاح الوضـــع ولو بنحو التبديل.

وإذا أمر القائد العام بأمرٍ أو قضـى بحكم، فموقفنا لا يقتصـر على طاعته ظاهراً وحســـب، بل يجب علينا أن نُســـلّمَ لأمرِهِ وحكمِهِ بكل قلوبنا وأرواحنا، ولا نقول، إذا لم ينسجم أمر الفقيه أو ممثله معنا: رأيي

تفكيري، فأنا مجبر على قبوله، ولا نقول مثلاً: إني ألتزم بأوامر الفقيه أو وكيله ولكن رأيي شيءٌ آخر.

ومن الطبيعي أن يعزل القائد والمسؤول الذي لا يمتلك الكفاءة العلمية اللازمة للمسؤولية المكلف بها، ولكن ما دام مسؤولاً في منصبه فتجب طاعته على كل حال.

في الصدر الأول للإسلام كان حبّ المسلمين لقادتهم واتِّباعهم لهم أمراً مدهشاً حقاً. يروى أنه في أثناء المسير إلى معركة تبوك تأخّر الصحابي أبو ذر الغفاري (عليه الرحمة)، وذلك بسبب ضعف وهزالة جمله. وعندما وصل قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أدركوه بالماء فإنه عطشان"، فأدركوه بالماء – بعد أن كان قد أغمي عليه من العطش – ووافى أبو ذر رسول الله (صلى الله عليه وآله و سلم) ومعه دواة فيها ماء فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا أبا ذر معك ماءٌ وعطشت"؟ فقال: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي انتهيت إلى صخرة

وعليها ماء السماء فإذا به عذبٌ باردٌ فقلتُ لا أشربه حتى يشربه حبيبي رسول الله". [١]

والخلاصة فالواجب هو أن تسود روح التسليم للقيادة بين أفراد القوات الإ سلامية فهذه الروح بناءة مفيدة للإ سلام. أتى شخص إلى الأمام الصادق (عليه السلام) وقال له: (إني مسلم لأمرك تسليماً كاملاً ولو شطرت رمانة شطرين وقلت هذا حلال آكله وهذا حرام لقلت صدقت يا ابن رسول الله).

نعم فحفظ وحماية النظام الإسلامي (وهو من أوجب الواجبات) يتوقف على طاعة القيادة. أما التمرّد على القيادة والتشرذم في الجيش وغيره فمنشأها الأفكار المنحرفة والأهواء الباطلة.[٢]

---

(١) الحديث ينقله علي بن إبراهيم القمي في تفسيره المشهور وهو من أقدم التفاسير الروائية عند الشيعة ص ٢٩٤ من ج١ في تفسير سورة التوبة.

(٢) الجهاد وخصال المجاهدين ـ مركز بقية الله. (مع التصرف).

الباب الخامس

وصايا للمجاهدين المرابطين.

أولاً: رصّ الصفوف.

ثانياً: العمل لله.

ثالثاً: الجهاد بمختلف الوسائل.

رابعاً: رفع معنويات المجاهدين المرابطين.

خامساً: السيطرة على الذات بعد الانتصار.

سادساً: تكريم المجاهدين بعد الحرب.

الخاتمة.

وصايا للمجاهدين المرابطين

كلامنا للمجاهدين بمختلف مستوياتهم عليهم واجبات نذكرها للتذكرة عسى الله أن يوفقنا للعمل بها، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

أولا: رصّ الصفوف.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[2].

علينا أن نجمع قوانا ونوحّد صفوفنا ونرصّها رصّاً ولا ندع مجالاً للفرقة بيننا. فقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ألزموا الجماعة واجتنبوا الفرقة»[3].

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٥.

(٢) سورة ال عمران: الآية ١٠٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦٦ ق٦، ب٥ الفصل ١٣ ح ١٠٧١٥.

وقال (عليه السلام): «إياك والفرقة فإن الشاذّ عن أهل الحق للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب»[١].

وقال (عليه السلام): «إياكم والتدابر والتقاطع وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٢].

لذا يجب أن نكون يداً واحدة كي نتمكن من مواجهة طغاة العراق وننقذ الشعب من الظلم والاستبداد.

كما على المجاهد أن لا يبعده انتسابه إلى حزبه ومنظمته الإسلامية عن وحدته والقرآن الكريم، يقول: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[٣].

كما لا يجب أن يبعده انتسابه إلى مدن أو قوميات مختلفة عن وحدته، فإن الهدف الأسمى هو الخلاص من الطغاة.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦٦ ق٦، ب٥ الفصل ١٣ ح ١٠٧١٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦٦ ق٦، ب٥ الفصل ١٣ ح ١٠٧١٥.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٣.

فعندما ننسب أحداً ونقول: هذا كربلائي وهذا نجفي، وهذا موصلي، وهذا بصري، فإنما يكون ذلك لأجل التعارف فقط ولا يكون سبباً للفرقة والاختلاف، فإن كل واحد منهم ينتسب إلى نسب أكبر وهو العراق، فكل واحد منهم عراقي، والعراقي بضمنهِ ينتسب إلى قيمة أكبر وأعلى وهي الإسلام فهو مسلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1].

فالإنسان عندما ينسب إلى هذه الفئة أو إلى هذه الهيئة أو الجمعية أو المنظمة أو الحزب يجب أن يتذكر أن هناك انتساباً أكبر وهو الإيمان؛ لذا يجب أن تكون الأحزاب والمنظمات وغيرها يداً واحدة على عدو الله والإسلام والإنسانية؛ فإن في الاتحاد قوة، وفي التفرقة ضعفاً، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ ويَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[2].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٢.

(٢) سورة القصص: الآية ٤.

فلنكن كتلة واحدة ذات هدف واحد ومصـــير واحد واتجاه واحد، لنتمكن من مواجهة الأعداء. (المؤمنون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً).

ثانيا: العمل لله

يجب أن يعمل الجميع لأجل الله تعالى وبإخلاص، كما قال تبارك وتعالى في القرآن الكريم: ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾[1].

فإذا كنا لله ومع الله كان الله ناصرنا وكان معنا فهو القائل سبحانه: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[3].

فمن تكون بريطانيا أمام الله؟

---

(١) سورة الانعام: الآية ٩١.

(٢) سورة ال عمران: الآية ١٦٠.

(٣) سورة محمد: الآية ٧.

ومن تكون إسرائيل أمام الله؟

ومن تكون أمريكا أمام الله؟

ومن تكون داعش وحلفائها؟

ومن تكون الدول العربية بائعة الضمير؟

بل ومن يكون كل طغاة التأريخ أمام الله جل وعلا.

إن هذا التحالف ضدنا لا قيمة له أمام قدرة الله تعالى، كما صرح لنا بذلك القرآن الكريم: ﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلاَدِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَ فِي غُرُورٍ﴾[2].

---

(١) سورة ال عمران: الآية ١٩٦ ــ ١٩٧.

(٢) سورة الملك: الآية ٢٠.

ثالثا: الجهاد بمختلف الوسائل

قال تبارك وتعالى: ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وكُلاً وعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾[1].

علينا أن لا نتوانى في جهادنا في سبيل الله، والتضحية بكل غالٍ ونفيس لوجه الله عز وجل، وعلى الإنسان أن يقدم كل أشكال الدعم المالي والفكري للمجاهدين المخلصين، بالإضافة إلى تهيئة كل المستلزمات الضرورية من غذاء ولباس، وكل ما يحتاجه انتصار المؤمنين في العراق.

إن الواجب يدعونا أن نوحّد الجهود وأن نساعد المجاهدين المخلصين ونجعل هدفنا هو رضا الله سبحانه وتعالى.

ومن الواضح أنَّ نهاية الظالمين والمستبدين هي كنهاية فرعون وهامان وجنودهما، فإنهم كانوا يلاحقون النبي موسى (عليه السلام)

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٥.

فكانت نهايتهم، كما قال تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَاراً﴾[١].

نعم، فهذه نهاية كل الطغاة والظالمين، كما انتهت جبهة البعث في العراق أصبحت مفكّكة إلى أبعد الحدود، لم يبق اليوم من صورة حزب البعث العراقي أمام العالم إلا مفهوم الجريمة والقتل وسفك الدماء وانتهاك الأعراض ونهب الأموال وتدنيس الحرمات وإشعال الحرب وتدبير المؤامرات فكم رأينا أهل الكفر وطغاة العصور إلا إن متاعهم قليل فأين الفراعنة في مصر؟ وأين ملوك العرب؟ وأين قائد الضرورة في العراق وغيرهم؟

كلهم ذهبوا وبقيت (كلمة الله هي العليا)، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾[٢].

وقال سبحانه: ﴿بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٣].

---

(١) سورة نوح: الآية ٢٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٣) سورة هود: الآية ٨٦.

هؤلاء الطغاة أرادوا شيئاً وأراد الله شيئاً آخر، وإنه تعالى دائماً مع المستضعفين.

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ والْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ والْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا واجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ ولِيّاً واجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾[1].

فالنتيجة الحتمية هي النصر للمؤمنين والاندحار لأهل الكفر، وكما ورد في الذكر الحكيم ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[2].

وهذا وعد حتمي، وإن بوادر النصر قد ظهرت، وفشلت المؤتمرات التي قام بها أعوان البعث وا ندحرت بحمد الله، فإن ا لدواعش في العراق لم تبق لهم قيمة لا في داخل البلاد الإسلامية ولا في خارجها. فالله مع المجاهدين المخلصين والناس معهم أيضاً.

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٥.

(٢) سورة غافر: الآية ٥١.

وبعد كل هذا قد اتضح لكل منصف في العالم إن هؤلاء لم يأتوا إلى العراق إلا لأجل استعماره والقضاء على شعبه ونهب ثرواته وتدمير الحركات الإسلامية فيه لكن الله خيب ظنهم وشتت شملهم وجعل كلمته عليهم لا لهم.

رابعا: رفع معنويات المجاهدين المرابطين

إن رفع معنويات الجاهدون المرابطين لها التأثير الأكبر على نتائج المعارك، فالمجاهد الذي يحارب وهو مطمئن إلى عمله الذي يقوم به يستطيع أن يقاوم طابوراً من الأعداء من دون كلل، ويعطي الخبراء العسكريين نسبة (٧٥٪) من عوامل النصر للمعنويات العالية، بينما يعطون جميع العوامل الباقية من أسلحة وتنظيم وتدبير وخطوط ارتباط (٢٥٪) فقط.

وهذا لا يختص بحالة حرب قائمة بل يشمل أيضاً حالات الكفاح والنضال والدفاع بشتى أنواعه.

فارتفاع معنويات المجاهدين له تأثير كبير على نوعية انتاجهم وجودته.

سؤال: كيف نرفع معنويات الفرد المجاهد أو المجاهدين المحاربين في ساحات القتال؟

الجواب:

(١) الكل يعرف أن الله هو القاهر فوق عباده وهو عظيم المجد وعزيز الجند دون غيره والمجاهد المرابط إنما يعتمد على الله في جهاده.

(٢) أن يكون القائد والأمر يمتلك الشجاعة النفسية حتى يكون صلب القوى والإيمان وذو رباطة جأش أمام الأحداث والهجمات والنكسات، وهذا يعطي طابع العزم لدى المجاهد عندما يرى هكذا قائد وأمر شجاع ويكون رافعاً للمعنويات لدى المجاهد وغير هذا كثير.

(٣) الإعلام الصادق: إذا قام بنقل أخبار المجاهدين بمصداقية عالية ودقة جيدة.

(٤) دعاء عامة الناس، الصغير والكبير للمجاهدين في كل زمان.

(٥) دفع الصدقات عن المجاهدين يومياً.

(٦) إرسال المعونات والهدايا لهم في جبهات القتال، فإن لها أثراً بليغاً في نفوس المقاتلين، وغيرها من الأمور.

خامسا: السيطرة على الذات بعد الانتصار.

إن أصعب لحظات السيطرة على الذات عند المقاتلين هي عندما ينتصر على العدو ويجد نفسه طليقة في التشفي من الحقد الذي يملأه ولكن هل يسمح للمجاهد المنتصر أن يفعل ما يريد؟ كلا إن على المجاهدين أن يلتزموا بما يوافق الشرف الإنساني والبطولة ليست في دحر العدو بمقدار ما هي في إيقاف النفس عند حدود القيم ودحر شهواتها.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصاياه: (فإذا كانت الهزيمة (على أيديكم) بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً (لمستلم) ولا تجهزوا عل جريح (لا تقتلوه) ولا تهيجوا النساء بأذى (إذا لم تكن النساء مجندات في عسكر العدو) وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراكم فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول، إنا كنا نؤمر بالكف عنهن وأنهن لمشركات وإن كان الرجل يتناول المرأة في الجاهلية بالفهر (الأحجار الصغير) أو العداوة (العصا الغليظة) فيعيره بها عقبة من بعده)[1].

---

(١) نهج البلاغة: المختار من رسائله رقم ١٤.

سادسا: تكريم المجاهدين بعد الحرب

يذكر لنا التاريخ إن بعد حرب الجمل وانتصار المؤمنين على العدو وقف الإمام علي (عليه السلام) يقدّر جهود مقاتليه ويكشف لهم عن حبه وعميق شكره ويؤكّد على قيمة عالية قال: (أنتم الأنصار على الحق (الحق هو الهدف) والإخوان في الدين (الدين هو الربط) والجنين (الدرع) يوم البائس (والحرب) والبطانة (الأصحاب) دون الناس... (بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ، (لأنكم القوة الضاربة التي ترعب العدو وتشد الصديق) فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ؛ فَوَ اللهِ إِنِّي لأولى النَّاسِ بِالنَّاسِ)[1].

وهكذا فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل حيث كان يشكر للمجاهدين جهدهم وقتالهم ويترحّم على شهداءهم ويزور مرضاهم، ويعطف على أيتامهم ويحنوا على الثواكل من الأمهات.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٨.

الخاتمة

خلاصة البحث

يستفاد من آيات الجهاد والروايات التي مرّت بنا خلال البحث فيها عدة مطالب نشير إليها بنقاط:

(١) إن الجهاد مكتوب مفروض على المسلمين في الجملة.

(٢) يجب الجهاد ضد كل كافر ومشرك، حتى يكون الدين كله لله تعالى ومع كل من لا يحترم ما حرّم الله ولا يحلّل ما أحلّ الله ويفسد ويبدع في شرائع الله، سواء كان من أهل الإسلام أو من أهل الكتاب.

(٣) يشترط في وجود أمير وزعيم شرعي حتى يكون هو المحور والمرجع في تنظيم الأمور وتنسيقها سواء كان الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله) بنفسه أو من ينوب عنه بأمره أو الأئمة المعصومين (عليهم السلام) من بعده أو نوابهم الذين بأيديهم مجاري الأمور والذين يحرزون باقي الشروط المؤهلة فيهم أيدهم الله تعالى.

(٤) يجب على المسلمين إعداد القوى والتهيؤ في كل زمان وحسب الشروط والمقتضيات، على حد يرهب الخصم ويقطع طمعهم

في الإســـلام والمســـلمين في جميع شـــؤون حياتهم الفردية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

(٥) يجب دعوة الخصـــم إلى الحق والإســـلام في كل ســـنة مرة، فإن أجابوا فبها وإلا يدعون إلى قبول حاكمية الإســـلام وزعامته بأدائهم الجزية عن يد وهم صاغرون وإلا فالمقاتلة معهم.

(٦) يجب الجهاد بالمقاتلة حينما يكون عدد المســـلمين بعســـكرهم نصف الكفار ليقابل الواحد الاثنين.

(٧) ينبغي ا ستخدام الآلات الحربية المتكاملة في كل ع صر ح سب مقتضياته من الحجر والخشب أو السيف والرمح أو القاذفات والطائرات والنفاثات الجوية والقوى البرية والبحرية، كما في زماننا هذا والأكمل في الآتي وكل ما يثبته ويمكنه الظرف.

(٨) يجب توا صل العـ سكر المقاتل واتحاد أفراده واتفاقهم في الرأي، بأن يكونوا كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً.

(٩) يجب جهاد الأقرب فالأقرب قبل الأبعد إلا لمصـــلحة أقوى كما إذا كان الأبعد أشد وأضر على الإسلام.

(١٠) يجب في الحرب أخذ الكفار بشـــدة وغلظة من غير رأفة ورحمة وترك الالتفات إلى ملومة لائم، كما يجب اســـتمرار الحرب والإبقاء عليها بضرب الرقاب حتى إثخان الخصم بالجراح والتغلب عليهم، ثم

شـدّ الوثاق على الأسـرى حال الحرب وبعد أن تضـع الحرب أوزارها فإما منّاً بعدُ وإما فداء.

(١١) يحرم على المقاتل الهروب من العدو (توليه الدبر) والتخوف منه عن القتال إلا لمصـــلحة الحرب من التحيز إلى فئة أو أخذ الحذر وغيره، فيجب الثبات والاستقامة في الحرب وذكر الله كثيراً عند الحرب، ويحرم التنازع والاختلاف الموجب للفشل.

(١٢) لا يجوز لأمير المسلمين بعد شروع الحرب الدعوة إلى السلم وترك القتال إلا لمصـلحة يراها صـائرة، من غير أن ينتهي به الأمر إلى أن يكون للكافرين على المسلمين سبيل، ولن يجعل الله للكافرين على المسـلمين سـبيلاً فيجوز ذلك (السـلم)، كما يجوز معاهدة ترك القتال مؤقتاً لا دائماً بتركهم معاونة المحاربين أو معاونتهم المسلمين ا ستجارة على أمور غير بطانة من عمليات.

(١٣) لا يجوز نقض العهد معهم والابتداء بالحرب بعد الميثاق، فإن الله تعالى لا يحب الخائنين. والغدر في الحرب غير نقض العهد للحرب، فيجوز بعد انقضـاء المدة أو نقضـهم العهد كما هو ظاهر، وكذلك لا يجوز مقاتلة المنافقين الذين وصلوا ـــ أي لجأوا ـــ قوماً بينكم وبينهم ميثاق ومعاهدة إلا بعد النقض أو انقضاء المدة.

(١٤) لابد من تحمل جميع مشاكل الحرب ومشاقة حتى الشهادة وما جعل عليكم في الدين من حرج حتى في ما كان طبعه حرجياً بحسب حال الفرد، بعدما كان فيه صلاح الجمع وحياتهم.

(١٥) يجب إجارة المستجير في المحاربة كائناً من كان، مع التحفظ على كيان الإسلام ومصالحه، حتى يسمع كلام الله أو إيصاله إلى مأمنه، فيرى كرم وكرامة الإسلام وعظمة المسلمين في خلوهم عن الأحقاد الشخصية.

(١٦) يحرم القتال في الأشهر الحرم؛ وهي رجب وذي القعدة وذي الحجة ومحرم (ثلاثة سرد واحد فرد).

(١٧) يجوز القتال في الأشهر الحرم عند نقض الكفار العهد وهتك حرمته والإثم عليهم، فإنهم هم الناكثون.

أو غير ذلك من الأمور التي لم تقع الإحاطة بها على المتتبع أن يراجع المصادر المختص بذلك يجد الكثير.

والحمد لله أولاً وآخراً، فهو نعم المولى ونعم النصير.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

شكر وتقدير

بعد إتمام البحث ببركة التوكل على الله تعالى والأخوة العاملين في شعبة البحوث والدراسات، يسرني أن أتقدم بالشكر والامتنان لهم على ما بذلوه من جهدٍ وإخلاصٍ، جعله الله تعالى في ميزان حسناتهم وأخص بالذكر فضيلة الشيخ باسم العلي وفضيلة الشيخ علي الماجدي، سائلاً المولى (عز وجل) أن يجعلنا وإياهم من أنصار الإمام الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وأن يرزقنا وإياهم الفردوس الأعلى في الجنان وصدق الله إذ يقول: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾.

الأقل

صباح الخاقاني

المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة.. محمد عبده

لسان العرب.. لابن منظور.

مجمع البحرين.

مفردات الفاظ القران.. الراغب الأصفهاني.

جواهر الكلام (كتاب الجهاد).. الشيخ محمد حسين الجواهري.

الرياض (كتاب الجهاد).. السيد محمد علي الطباطبائي.

مسالك الافهام.. الشيخ زين الدين بن علي العاملي (الشهيد الثاني).

كشف الغطاء.. الشيخ كاشف الغطاء.

المبسوط.. الشيخ الطوسي.

ولاية الفقيه.. الشيخ المنتظري

وسائل الشيعة.. الشيخ محمد بن حسن الحر العاملي.

مستدرك الوسائل.. الشيخ النوري.

فقه القران.. الشيخ محمد اليزدي.

فقه الدولة.. الشيخ فاضل الصفار.

نظام الحكم في الإسلام.. الشيخ محمد مهدي شمس الدين

الجهاد وخصال المجاهدين.. مركز بقية الله.

بحار الأنوار.. الشيخ محمد باقر الطوسي.

ميزان الحكمة.. الشيخ محمد الريشهري.

أصول الكافي.. الشيخ الكليني.

مشكاة الأنوار.. أبو الفضل علي الطبرسي.

الصياغة الجديدة لعالم الإيمان.. السيد محمد الشيرازي.

في رحاب عاشوراء.. الشيخ الآصفي.

غرر الحكم من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام).. عبد الواحد الآمدي.

صحيح البخاري.. محمد بن إسماعيل البخاري.

ثورة عاشوراء شمس الشهادة.. السيد علي الخامنئي.

الحماسة والعرفان.. الشيخ جواد آملي.

فقه الأخلاق.. السيد محمد محمد صادق الصدر.

تفسير الأمثل.. الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

تفسير القمي.. علي بن إبراهيم القمي.

تاريخ الخلفاء.. جلال الدين السيوطي.

تفسير المبين.. الشيخ محمد جواد مغنية.

تفسير الميزان.. السيد محمد حسين الطباطبائي.

أنوار التنـــزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي).. ناصر الدين الشيرازي.

تهذيب الأحكام.. الشيخ الطوسي.

كنز العمال.. علاء الدين علي المتقي الهندي.

سبيل الدعوة الإسلامية.. د. محمد امين المصري.

المحتويات

الإهداء..... ٣

المقدمة..... ٥

تعريف الجهاد..... ١٠

ضرورة الجهاد..... ١٧

أقسام الجهاد..... ٢١

فلسفة الجهاد..... ٢٧

١- لإعلاء كلمة الله:..... ٢٧

٢- إنقاذ المستضعفين:..... ٣١

٣- رفع الظلم عن الإنسان:..... ٣٤

دلالات بعض آيات الجهاد..... ٣٩

١ـ ما دل على إعداد القوة:..... ٣٩

٢ـ ما دل على الجهاد الدفاعي:..... ٤١

٣ـ ما دل على جهاد النصرة:..... ٤٢

٤ـ ما دل على جهاد الصلح:..... ٤٤

٥ـ ما دل على الجهاد الفكري:..... ٤٦

٦ـ الجهاد الإعلامي:..... ٤٧

خصائص الجهاد..... ٤٨

الجانب الأول: كونه باب من أبواب الجنة..... ٤٨

الجانب الثاني: لباس التقوى..... ٥٣

الجانب الثالث: الجهاد عزة الإسلام..... ٥٥

شروط قبول الجهاد..... ٥٨

آداب الجهاد وأصوله..... ٦٩

أخذ إذن الوالدين للجهاد..... ٧٠

سقوط الجهاد عن طوائف..... ٧٢

لا جهاد على المرأة..... ٧٤

لا تجوز الحرب مع غير الإمام العادل أو نائبه..... ٧٦

باب الدعوة إلى الإسلام أولاً..... ٧٩

الاقتصار على القدر الضروري..... ٨١

لا حرب مع إعطاء الأمان أو الصلح..... ٨٦

وقف إطلاق النار في الأشهر الحرم..... ٩٢

الأسير لا يُقتَل..... ٩٣

لا يقتل من أخرج كرهاً.....٩٩
مزيد من السماح مع غير ذي الفئة.....٩٩
إتمام الحجة على العدو، وعدم البدء بالهجوم.....١٠٧
عدم التعرّض للنساء.....١١٠
عدم قتل الرسل.....١١٠
تحريم القتال على غير سنّة.....١١١
لا حرب للجبناء.....١١٢
عدم قتل الذميّ.....١١٢
احترام كرماء الكفار.....١١٢
استحباب عدم أخذ السلب.....١١٤
عدم قتل الأطفال.....١١٤
عدم قطع الأشجار، وعدم قطع الماء.....١١٤
البيان الأول: في قيمة الشهادة في سبيل الله.....١١٨
البيان الثاني: الشهيد قدوة.....١٢٣
البيان الثالث: أثر دم الشهيد في حركة الأمة.....١٢٦
البيان الرابع: في دم الشهيد الوعي والعطاء.....١٣٠

البيان الخامس: ما هي الحكمة من عدم تغسيل الشهيد وتكفينه؟.....١٣٧

الوجه الأول:.....١٣٨

الوجه الثاني:.....١٣٨

الوجه الثالث:.....١٣٩

الوجه الرابع:.....١٣٩

من صفات المجاهدين.....١٤٢

الصفة الأولى: إخلاص المجاهدين.....١٤٢

الصفة الثانية: المجاهد صاحب رفق ورحمة.....١٤٧

الصفة الثالثة: المجاهد في قمة التقوى.....١٥٠

التقوى السلبية والتقوى الإيجابية.....١٥١

ضعفُ أثر التقوى السلبية.....١٥٢

الصفة الرابعة: صبر المجاهدين.....١٥٤

الصفة الخامسة: المجاهد والتوكل على الله.....١٦١

قصة من الصدر الأول للإسلام.....١٦٦

الصفة السادسة: المجاهد وطاعة القيادة الشرعية.....١٧٠

شروط النصر الإلهي.....١٧٤

أثر التفرقة في هدم المعنويات..... ١٧٤

وصايا للمجاهدين المرابطين..... ١٧٩

أولاً: رصّ الصفوف..... ١٧٩

ثانياً: العمل لله..... ١٨٢

ثالثا: الجهاد بمختلف الوسائل..... ١٨٤

رابعاً: رفع معنويات المجاهدين المرابطين..... ١٨٧

خامسا: السيطرة على الذات بعد الانتصار..... ١٨٩

سادساً: تكريم المجاهدين بعد الحرب..... ١٩٠

الخاتمة..... ١٩١

شكر وتقدير..... ١٩٥

المصادر..... ١٩٦

المحتويات..... ١٩٩